

جامعة محمد خيضر بسكرة  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم العلوم الاجتماعية



# مذكرة ماستر

تخصّص: فلسفة عامة

إعداد الطالب:  
شراز عطلي

يوم: 12/06/2019

## أسس الحضارة في العالم الإسلامي "مالك بن نبي أنموذجاً"

### لجنة المناقشة:

مقررا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ. مس أ	د حميدات الصالح
رئيسا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ. مح ب	د كشكار فتح الله
مناقشا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ. مح ب	د علية صافية

السنة الجامعية: 2019م/2020م

## شكر و عرفان

اهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز وأغلى انسانية في حياتي  
التي أنارت دربي بنصائحها، إلى من زينت حياتي  
ومنحتني القوة والعزيمة امي الحبيبة إلى أبي الغالي  
وزوجي واستاذي الأستاذ حميدات صالح كامل الشكر  
والتقدير على كل جهد بذله معي وإلى كل من ساندي ولو  
بكلمة شكرا جزيلا لكم.

# مَقْدِمَةٌ

## مقدّمة

على مر التاريخ الإنساني كانت هناك حضارات تلت بعضها بعض ومن هذه الحضارات نجد الحضارة الإسلامية والتي تعتبر من أسمى وأرقى الحضارات البشرية التي نشأت في هذا العالم وأكثرها إزدهارا وتقدما والتي كان لها الأثر البالغ في حياة البشر ، فقد أثرت في حياة الإنسان وجعلته يخطو أولى خطواته من أجل تطوير حياته لقد قدمت الحضارة الإسلامية الكثير من المنجزات والاختراعات إلى العالم في القرون الوسطى والتي عملوا على تطويرها وتحسينها بحيث كانت هذه الاكتشافات والاختراعات مختلفة ومتنوعة وتشمل شتى مجالات العلوم مثل علوم الكيمياء والفلك والعديد من الاختراعات أما الايطار الزماني والمكاني للحضارة الإسلامية فقد بدأ تكوينه على يد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتي بقيت وإستمرت تحت مسمى الخلافة في الفترات الأموية والعباسية بمختلف العلوم والمدنية كما إهتمت وطورت الجانب الديني فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تجمع بين العقل والروح فإمتازت عن كثير من الحضارات السابقة عنها ، ومن أهم وأبرز رواد الحضارة الإسلامية المفكر مالك بن نبي الذي هو من ملأت كتبه ونظرياته في تحليل العصر والنهوض بالأمم مكتبات العالم وأصبحت كتبه محل دراسات الجامعات العالمية ، مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وأحد رواد النهضة المتشعب الروح الإسلامية حتى النخاع المفكر مالك بن نبي الذي تلقى علومه الأولى في الجزائر سواء في المسجد أو في المدرسة فأكمل دراسته في فرنسا.

وتتمثل أهمية الدراسة لهذا البحث في معرفة أهم معالم الحضارة الإسلامية ومجالاتها وما قدمته للعالم أجمع ومعرفة أسسها من خلال روادها ومفكريها الذين عملوا على تقديم أفكار ممنهجة لتسطير طريق واضح لأفكار يمكن العمل بها مستقبلا وإعتمادها للتطوير والرقي في جميع المجالات.

أما سبب إختيار هذا الموضوع هو الرغبة في إكتشاف أهم الأفكار والأسس التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية وأهم مانادى به روادها من أفكار وإصطلاحات.

وتم الإعتماد على ثلاثة فصول في هذا البحث للوصول إلى مدى أحسن من الأفكار والمعلومات الصحيحة والممنهجة الفصول كانت كالآتي:

**الفصل الأول:** كان تحت عنوان أسس الحضارة في العالم الإسلامي ويندرج تحته مبحثين اثنين المبحث الأول تحت عنوان تعريف الحضارة شروطا وكيفية الإتصال فيما بينها والمبحث الثاني كان بعنوان: عوامل الحضارة، نشأتها وعوامل تكوينها ثم يليه المبحث الثالث بعنوان ماهية الحضارة الإسلامية، أسسها وصور من تطبيقاتها.

**الفصل الثاني بعنوان:** أسس الحضارة عند مالك بن نبي واندرجت تحته ثلاث مباحث المبحث الأول: كان بعنوان حياة مالك بن نبي ومصنفاته المبحث الثاني بعنوان: الخلفية التاريخية لفكر مالك بن نبي المبحث الثالث بعنوان: أسس الحضارة عند مالك بن نبي.

**الفصل الثالث بعنوان:** تقييم واندرج تحته مبحثين اثنين المبحث الأول تحت عنوان: لمحات من أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الانسانية الأخرى المبحث الثاني بعنوان: وسائل نشر الحضارة الإسلامية في أوروبا.

وقد تم إتباع المنهج التحليلي والمنهج التاريخي في معالجة موضوع البحث كما تم الإعتماد في الوسائل البحثية التي إستخدمت في البحث وأهمها المصادر والمراجع.

أما فيما يخص الصعوبات العلمية فكانت أبرزها طول مشكلة البحث وكثرة مباحثها، كذلك إتساع الأفكار وصعوبة ضبطها وإختصارها دون المساس في المعني أو الإنقاص فيه نأتي إلى طرح إشكالية البحث تحت عنوان ماهي الحضارة الإسلامية وماهي أسسها، من هو مالك بن نبي وماهي أسس الحضارة حسبه ؟

ماهو تعريف الحضارة وماهي شروطها وماهي أسس الحضارة الإسلامية؟ من هو مالك بن نبي وماهي أسس الحضارة عنده؟ ماهو أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الإنسانية الأخرى؟

# الفصل الأول: أسس الحضارة في العالم الإسلامي

المبحث الأول: تعريف الحضارة، شروطها وكيفية الاتصال فيما بينها

المبحث الثاني: مظاهر الحضارة، نشأتها وعوامل تكوينها

المبحث الثالث: ماهية الحضارة الإسلامية، أسسها وصور من تطبيقاتها

المبحث الأول: تعريف الحضارة، شروطها وكيفية الإتصال فيما بينها

المطلب الأول: تعريف الحضارة

إن كلمة حضارة مشتقة من الحضرم، ومدنية مشتقة من الحياة المدنية كما ان الكلمة الأجنبية (civilization) مشتقة من المدنية (civilis) او من (civilis) وهو ما يتعلق بساكن المدينة. وفي موسوعة القرن العشرين الحضارة: الإقامة في الحضرم وفي المدينة جاء التعريف التالي: مدنية كلمة مشتقة من مدن المدائن أي حضرها وبنائها ونحتوا منها فعل تمدن، وجعلوا معناه تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل في حالة الحضارة.

وفي قصة الحضارة لـ (ول ديورانت) استخدمت كلمة حضارة وكلمة مدنية بمعنى واحد المدنية (والتي اشتقت من مدن المدائن ومن التمدن)، تعني إبتعاد الجماعات الريفية التي تنتقل إلى المدينة من جذورها. والتمدين يعني الرغبة في حياة أغنى وأرقى، وعلى ذلك... بالمدينة: التقدم العلمي والتكنولوجي والرفاهية والرقى الذي وصلت إليه المجتمعات.

ونرى أن الحضارة لا تعني هذا الجانب المادي فقط بل أنها تشمل الجانب الروحي العقائدي الفكري التشريعي أيضا. وبالتالي تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى الكون والإنسان والحياة وتنشأ الحضارة من عاملين أساسيين هما الأرض والإنسان من موارد الأرض الطبيعة التي تحولها رغبات الإنسان وجهوده وتنظيمه إلى ما فيه منفعتة

يمكن القول إن الحضارة هي محاولات الإنسان الإستكشاف والإختراع والتفكير والتنظيم والعمل على إستغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم كلها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، سوريا، 1994،

### تحليل معنى الحضارة.

إذا كانت الحضارة تعنى في أصل اللغة إقامة مجموعة من الناس في الحضر، أي في مواطن العمران سواء كانت مدنا ام حواضر ام قرى فإن معناها قد توسع عند المؤرخين.

والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملا لجميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين لأنهما لايزدهران إلا عند المستقرين في مواطن العمران.<sup>2</sup>

### الدين والحضارة:

الديانة المكية: عندما قدم ابراهيم وزوجته هاجر وابنهما إسماعيل إلى مكة لم يكن في المنطقة أي زرع ويصف القرآن الكريم ذلك المكان بالفقر وقام ابراهيم وابنه ببناء الكعبة وهي غرفة مربعة ذات فتحة واحدة. وكرسها لعبادة الله الواحد واذ كانت هاجر تسعى بين الصفا والمروة بحثا عن الماء تفجر نبع زمزم بأعجوبة تحت قدمي الطفل إسماعيل، وإستمر الماء في التدفق فأصبح الموقع محطة للقوافل وبعد قرون من ذلك التاريخ عدت الكعبة مجمعا لكثير من الأصنام أو الآلهة كما أضحت مكة المركز الرئيسي الذي يربط بلاد العرب كلها من النواحي الدينية والثقافية والسياسية والإقتصادية وقد بقية حياة الذاكرة في سائر بلاد العرب حكاية قيام إبراهيم و إسماعيل بتأسيس الكعبة مكانا مقدسا عبادة الله الواحد

إن وحدانية الله المتسامية التي دعا إليها إبراهيم وأسرته لم يكن من السهل الإبقاء عليها حية في الأذهان اذا إحتاج الأمر إلى درجة من الإطلاع والمعرفة لم تكن متوفرة في كل حين أما عدد لأجيال التي عرفت تلك الفكرة بعد عهد إسماعيل فهي مسألة لم تحدد. فقد تضافرت عدة عوامل على تحويل تلك الوحدانية إلى شرك أو تعدد الآلهة المكية فأولا هناك حاجة البشر إلى معبود شديد القرب عند ظهور الحاجة إليه وحاجات الحياة اليومية كثيرة التنبؤ بالمستقبل الإستشارة أو طلب النصح إن كان الوقت ملائما لشن حرب أو الشروع في تجارة

<sup>2</sup>عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم (دمشق)، الطبعة الأولى، سوريا، 1994 ص19.



أو صيد أو رحلة طويلة كذلك الإسترضاء عند نزول مصيبة على أمل الخلاص منها وتقديم الشكر عند حلول نعمة أو خير وعند نشوء واحدة من تلك الحاجات لا يستطيع سوى ذهن وإرادة قويين مقاومة إغراء البحث عن تلبية لتلك الحاجة من خلال القريب أو الملموس حيثما يوجد ذلك وينشط هذا الميل حتى من الإدراك بأن القوة توجد في آخر المطاف عند كائن آخر وفي هذه الحالة ينظر إلي المعبود القريب على أنه قوة وسيطة (مانعبدهم إلا ليقربون إلى الله زلفى)<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: شروط الحضارة وكيفية الإتصال فيما بينها

#### 1- شروط قيام الحضارة:

لا شروط عرقية لقيام الحضارة إذ يمكن أن تظهر في أية قارة يقول<sup>4</sup> توينبي<sup>5</sup> يوجد عرق متفوق بدأت الحضارة عن يده.<sup>4</sup>

ونظرية<sup>6</sup> توينبي<sup>7</sup> تقول: إن تقدم الحضارة كان نتيجة رد فعل للتحدي في الظروف الصعبة التي تدفعه إلى بذل أكثر. ومثال ذلك (الصحراء الكبرى) التي كانت سهولا خصبة ملاءى بالأعشاب والمياه وبتغير الظروف المناخية وهي التحدي هنا سلك السكان طرقا ثلاثا إستجابة لهذا التحدي.

فبعضهم ظلوا مقيمين في الصحراء الكبرى وبدلوا عاداتهم ونمط معيشتهم إلى بدو ورحل وآخرون إنتقلوا إلى المناطق المدارية جنوبا حيث الغابات وحافظوا على حياتهم البدائية. وآخرون دخلوا مستنقعات وادي النيل وغاباته كما دخلوا الدلتا وقبلوا التحدي وعملوا على تجفيف المستنقعات وإعدادها للزراعة وأتوا بالحضارة المصرية القديمة وكذلك الحضارة السومرية في دلتا الدجلة والفرات وكذلك حضارة الصين في وادي النهر الأصفر (هوانغ هو) ولا ندري تماما ما نوع التحدي ولكن الأحوال كانت صعبة والحضارة الإاجية المينوسية كان أصلها تحدي البحر للسكان.

<sup>3</sup>إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي أطلس الحضارة الإسلامية ت: عبد الواحد لؤلؤة مكتبة العبيكان الطبعة الأولى الرياض 1998ص117 ومايلها

<sup>4</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص20

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

فالأحوال الصعبة المعاكسة وليست الأحوال المواتية هي التي تنتج الحضارات وهذا ما يسمى (حافز الصعوبات) أو دافع البلاد ذات الأحوال المعاكسة

ثم يقول<sup>٥</sup> توينبي<sup>٥</sup> إن الأرض الجديدة تثير الهمم والأرض البكر تولد رد فعل أقوى من ذلك الذي تولده أرض ذات حضارة سابقة فالحضارات التي أتت بتأثير ما سبقها نرى أن مظاهرها القوية كانت في مناطق خارجية عن نطاق الحضارة الأصلية التي سبقتها.

### المطلب الثالث: اتصال الحضارات و إنتقالها:

يتم الإتصال بين الحضارات وبالتالي إنتقالها عن طريق الغزو أو الفتح أو الحكم الأجنبي أو الهجرة والسياحة والتجارة والجوار... ومثال ذلك (الهيكسوكس) الذين غزوا مصر وعاملوا أهلها بشدة وعنف لكنهم مالبثوا بعد مدة من الزمن أن أخذوا يتعودون على الحياة المصرية وجرفهم تيار حضارتها فتمصروا وقلدوا الفراعنة في أسماءهم وألقابهم وأزيائهم وعاداتهم وتقاليدهم الملكية ولغتهم وقدموا القرابين إلى الآلهة المصرية وسموا(أبناء زع)  
-ونميز في حالات الإتصال هذه نوعين رئيسيين من إنتقال الحضارة.

إذا كان الشعب المهاجم الذي ساد البلاد وحكمها دون حضارة الشغب المغلوب. فيتحصل فترة توقف في مسيرة الحضارة الأصلية كالهيكسوس، والبرابرة والجرمان والتتر. فهي مثل هذه الحال تهضم حضارة المغلوب الغزاة المنتصرين وتردهم ولو بعد حين. وقد إقتبسوا حضارة الشعوب المغلوبة.

أما إذا كان الشعب الفاتح في حال فكري أرقى كالفاتحين العرب المسلمين فعندها تزدهر حضارة رائعة بعد الفتح والإستقرار مع طبع الحضارة بطابع الفاتحين الخاص.<sup>5</sup>

<sup>5</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه ص 58

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

---

وقد يحصل تبادل حضاري بين طرفين حضاريين وقد يعطي الشعب المغلوب إلى الشعب الغالب أكثر مما يأخذ منه مثال ذلك اليونان عندما حكمهم الرومان الصليبيون عندما وصلوا بلاد الشام وإطلعوا على الحضارة العربية الإسلامية وقد يتم الانتقال عن طريق طرق أخرى. فالحضارة العربية الإسلامية إنتقلت إلى أوروبا عن طريق المدن الإيطالية وصقلية ومدن فرنسا الجنوبية والأندلس.

المبحث الثاني: مظاهر الحضارة، نشأتها وعوامل تكوينها.

### المطلب الأول: مظاهر الحضارة

للحضارة عناصر تتألف منها ومظاهر متعددة تظهر بها:

1-المظهر السياسي: ويبحث في هيكل الحكم ونوع الحكومة: ملكية أم • جمهورية دستورية أم مطلقة والمؤسسات الإدارية والمحلية

-والدولة تنشأ بسبب ضرورة النظام ولا يعود بالإمكان الإستغناء عنها وتصبح الدولة وسيلة للتوفيق بين المصالح المتباينة التي تكون مجتمعا مركبا ويرى<sup>٥</sup>ول ديورانت<sup>٦</sup> أن العنف هو الذي ولد الدولة وأن الدولة هي نتيجة الغلبة والفتح وتوطد نفوذ الغالبين كطبقة حاكمة على المغلوبين.

2-المظهر الإقتصادي: ويبحث في موارد الثروة ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي وتبادل المنتجات.

3-المظهر الإجتماعي: ويبحث في تكون المجتمع ونظمه وحياة الأسرة والمرأة وطبقات المجتمع والآداب والأعياد.

4-المظهر الديني: ويبحث في المعتقدات الدينية والعبادات وعلاقة الإنسان ونظرته إلى الكون والحياة.

5-المظهر الفكري: ويبحث في النتاج الفكري من فلسفة وعلم وأدب.

6-المظهر الفني: ويبحث في الفن المعماري والرسم والموسيقى وغيرها من الفنون.<sup>6</sup>

<sup>6</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 26

### المطلب الثاني: نشأة الحضارة وعوامل تكوينها.

1- نشأة الحضارة: إن اجتماع النوع الإنساني أمر ضروري فليس في إستطاعة إنسان وحده أن يهنئ لنفسه وسائل إرتقاؤه وتحصيل حاجه (جمع حاجة) وما يتطلبه معاشه إلا بمعاونة أخيه الإنسان كما لا يمكنه أن يدافع عن نفسه إلا بالإستعانة بأبناء جنسه وهذا ما عبر عنه الحكماء قديما بقولهم "الإنسان مدني بالطبع" فإذا كان لإجتماع وكان التعاون حصل له التغلب على أمر المعاش والدافع عن النفس.

وإذا ما إطمأن إلى ذلك بدأت الحضارة وأخذت في النمو وإلإزدهار وسارت في طريقها حتى يبلغ مداها يقول العلامة "ول ديورانت":<sup>7</sup>

«إن الحضارة تبدأ حيث ينتهي الإضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف وتحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وحينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزدهارها.

ومع أن إجتماع النوع الإنساني ضروري وطبعي فإن أجيال الناس مختلفون في أحوالهم بإختلاف نحلهم في المعاش فمنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والإبل وهم أهل البادية الذين تلجئهم الضرورات إلى طلب المسارح والمراعي لحيواناتهم التي يعيشون بنتاجها ويكون إجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم بالقدر الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش-أي يكتفي به-من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك<sup>8</sup>

إن قيام حضارة جديدة في مكان ما، كان يعني زوال أخرى من مكان آخر. فالحضارة بساط نسجته وتنتجه أيدي أمم كثيرة واليوم لا تزول حضارة بقيام أخرى والسبب سهولة المواصلات وتقدم وسائل الإتصال فالعالم أضحى (غرفة واحدة) محدودة الجوانب صغيرة الحجم واضحة المعالم فالإنسان يرى أن يعلم سمعا-مايجري في الطرف الآخر من الكرة لأرضية وفي الثانية ذاتها عند وقوع الحدث.

<sup>7</sup> أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة ب.ط القاهرة 2012 ص9 ومايليها

<sup>8</sup> أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص10

وأرجع العلامة عبد الرحمان بن خلدون أسباب أقوال الحضارة وبالتالي قيام أخرى في مكان آخر إلى عوامل، منها:

1- عوامل مادية: كإتساع رقعة الملك وعدم خضوع الأطراف النائية للسلطة المركزية

2- عوامل إقتصادية: ويعني بها حالة الترف والدعة بعد حالة أو فترة الإستقرار

3- عوامل اجتماعية: فامجتمع خاضع للتطور المحترم وللدول أعمار كأعمار الأفراد

4- وتمر الحضارة في خمسة أطوار

5- الفتح والإستلاء وإكتساب المجد

1- طور إستبداد صاحب الدولة على قومه وكبح جماحهم على التناول.

2- طول الفراغ والدعة فيميل صاحب الدولة إلى تحصيل المال وتخليد ذكره بالآثار معتمجيد

شخصه.

3- طول القنوع والمسالمة-أي يقنع بما بناه أسلافه ويسالم غيره من الحكام وأصحابالسلطات.

4- طول الإسراف والتبذير حيث يصبح صاحب الدولة ويطانته-أي أسير الم لذات والشهوات

فتصبح الدولة في حالة هرم وتسير بسرعة كبيرة إلى الأقال.

والحضارة مع ذلك في نمو مستمر فهي متواصلة العطاء وقيمة أمة في ميزان بناء

الحضارة يساوي ما قدمته. مطروحا منه ما أخذت إقتبست<sup>9</sup>

قيمة أمة ما = ما أعطت وقدمت = ما أخذت وإقتبست. التقدم الإنساني نحو الحضارة:

إنقرضت تدريجيا الحيوانات الثدية الضخمة على الرغم من قوتها العظيمة ولم تستطع مقاومة

القوى الطبيعية التي إستطاع الإنسان "بعقله" أن يتغلب عليها وأن يدافع عن بقائه بين

<sup>9</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 35 ومايلها

المخلوقات المتنافسة على البقاء وقد إزدادت مقدرته وخبرته إلى حد كبير عندما أصبح أول المخلوقات.

بل الوحيد من بينها -الذي تمكن من صنع الأدوات التي كان من أولها تحسين شكل الحصة التي إلتقطها وجعلها أكثر ملاءمة للغرض الذي أراد أن يستعملها فيه حتى عدت قطعة الحجر هذه رمزا متميزا للعصر الحجري الذي كان قبل مئتي عام مضت.

وتقدمت خبرة الإنسان في صناعة الأدوات والآلات التي كان لها أعمق الأثر في إرتقائه بعد تجربة بطيئة ومجهود طويل.

وهكذا كان العمل أول عامل من عوامل الحضارة صناعة ثم زراعة أي إستقرار وأسرة وقبيلة ثم نقل وتجارة وتبادل سلع. كما نشأ نوع من تنظيم للحياة والمجتمع فقامت سلطة (حكومة) لحماية الإنسان من الكوارث أو الأخطار التي تحيط به.

تلا هذه الخطوة ظهور أعراف وقوانين وشرائع نظمت ما يجيش في الإنسان من شهوات وأخضعتها للطريق السوي (فبغير القوانين) تنحل الجماعة أفرادا وتسقط فريسة المجتمع (أو الدولة أو لسلطة) أخرى يكون فيها التماسك الإجتماعي أمتن وأقوى<sup>٨٨</sup> وينذر أن يأتي الموت إلى المدينة من خارجها بل لابد للإنحلال الأخلاقي أن يفت في نسيج المجتمع أولا قبل أن يتاح للمؤامرات أو الهجمات الخارجية أن تغير جوهر بنائها أو أن تقضي عليها قضاء أخيرا.

10

## 2-عوامل تكون الحضارة:

<sup>10</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 41

للحضارة عناصر تتألف منها وتوجد بوجودها ولها عوامل تكوينها وتستحث خطاها وعوامل تبطئ بها أو تعوق مسارها.

وعناصرها

-كما يرى بعض الفلاسفة وعلى رأسهم العلامة "ول ديورانت

" -الموارد الإقتصادية

2-التقاليد الخلفية

-النظم السياسية.

4-متابعة العلوم والفنون

وسنرى فيما بعد أن حضارة الإسلام قد إستوعبت هذه العناصر وعنيت بها وبرزت فيها وتفوقت وأما عوامل تكوينها فكثيرة. ومن أهمها:<sup>11</sup>

### العوامل الجغرافية

إن الأمطار والمياه من أهم العوامل الحضارية فالماء وسيلة الحياة بل قد يكون أهم للحياة من ضوء الشمس. والإقليم الذي تجود تربته بالطعام أو المعادن وأنهاره تهيئ له طريقا هينة للإتصال بغيره وشواطئه مليئة بالمواضع التي تصلح مرافئ طبيعية بسفنه التجارية ويقع على طريق رئيسي للتجارة العالمية. مثل هذا تزدهر فيه الحضارة وتبتسم له. وحرارة الأقطار الإستوائية وما يجتاح تلك الأقطار من طفيليات لا تقع تحت الحصر لا تهيئ للمدنية أسبابها فما يسود تلك الأقطار من خمول وأمراض من شأنه أن يصرف الجهود عن الأخذ بأسباب التقدم والتمدين ولايزر للإنسان شيئا من الجهد ينفقه في ميدان الفنون والعلوم وجمال التفكير.

### العوامل الإقتصادية

<sup>11</sup>أبو زيد شلبي2 المرجع السابق نفسه ص 12 ومايليها.



## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

للعوامل الاقتصادية أهمية كبرى في تكوين الحضارة فقد تكون قبيلة من قبائل البدو كبدو بلاد العرب على درجة نادرة من الذكاء والفتنة وقد تبدى من ألوان الخلق أسماها كالشجاعة والكرم وإباء الضيم والشيم لكن ذكائها من غير وجود عوامل اقتصادية تطمئنها على مورد محقق من الطعام والماء ستفقده في شن الغارات ومخاطر الصيد وإرتياد موارد القوت بحيث لا يبقى منه شئى لوشى المدينة وترفها وعلومها وفنونها.

### العوامل الثقافية

العوامل الثقافية لها شأن في نشأة الحضارة فالوحدة اللغوية مثلا لا بد منها إلى حد كبير لتكون وسيلة بين الناس لتبادل الأفكار والمعلومات الأمر الذي يجعل الحضارة تسير بخطى واسعة نحو الكمال.

### العوامل الدينية

من الضروري أن يكون بين الناس في مجتمعهم كل الإتفاق أو بعضه في العقائد الرئيسية وجانب من الإيمان بما هو كائن وراء الطبيعة لأن ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة نفع العمل ضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته ويجعل حياتنا أشرف وأكثر إحتمالا وإطمئنانا لنوائب الزمن.

### العوامل الأخلاقية

للعوامل الأخلاقية أهمية ذات بال اذ لا بد من قيم أخلاقية تسود الجماعة وتربط بينهما حتى تكون هناك قواعد يراها الجميع ويعترف بها حتى الخارجون عليها. وهذه القيم توجد عن طريق الأسرة أو المدرسة أو المسجد أو غير ذلك.

### العوامل النفسية:12

لا بد أن تتوافر العوامل النفسية الدقيقة لتنشأ الحضارة فمثلا لا بد أن يشعر الناس بأنه يسودهم نظام سياسي مهما يبلغ ذلك النظام حدا يدنو به من الفوضى كما لا بد لهم من أن يشعروا بأنهم مطمئنون على أرواحهم ولا يتوقعون الموت والهلاك عند كل منعطف في

<sup>12</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه ص 13

طريق حياتهم وإلا فلا يستطيع مثل هذا المجتمع أن يأخذ بأسباب الحضارة وهو في مثل هذه الحالة من القلق والإضراب والخوف.

### العوامل الجيولوجية

العوامل الجيولوجية ذات أثر يعتد به في الحضارة فقد تزدهر المدينة في إقليم من الأقاليم وفيما هو كذلك ينعم بمتع الحياة ويرفه بمسراتها ينكب بزلزال شديد يقضي على كل ما فيه. التربية: وأخيرا لابد من تربية ونعني بها الوسيلة التي تنتقل بها المدينة من جيل إلى جيل مهما كانت هذه الوسيلة بدائية فلا بد أن نورث الناشئة تراث القبيلة وروحها. فنورثهم عن طريق التقليد أو التعليم أو التلقين معارفها وعلومها وفنونها وأخلاقها وتقاليدها سواء أكان المربي هو الأب أو الأم أو المعلم أو المرشد لأن هذا التراث إن هو إلا الأداة الأساسية التي تحول هؤلاء النشء من مرحلة الحيوان إلى طور الإنسان.<sup>13</sup>

المبحث الثالث: ماهية الحضارة الإسلامية، أسسها وصور من تطبيقاتها.

<sup>13</sup> أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 14 ومايلها

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

### المطلب الأول: ماهية الحضارة الإسلامية:

#### \_ماهية الحضارة الإسلامية: جوهر الحضارة الإسلامية

لا شك أن جوهر الحضارة الإسلامية هو الإسلام وأن جوهر الإسلام هو التوحيد أي التوكيد أن الله هو الخالق الواحد المطلق المتعال ورب الكائنات جميعا وسيدنا.

هذان المبدآن لأساسيان باديا للوضوح ولم يتطرق الشك بهما قط إلى من كان ينتمي إلى هذه الحضارة أو ساهم فيها ولم يتعرض للشك إلا عند المنصرين أو المستشرقين وغيرهم ممن فسر الإسلام في الماضي القريب والمسلمون مهما يكن مستوى ثقافتهم هم على ثقة مطلقة بأن الحضارة الإسلامية تنطوي على جوهر وأن هذا الجوهر قابل للمعرفة والتحليل والوصف وذلك هو التوحيد وتحليل التوحيد بوصفه جوهرًا ومبدءًا رئيسًا للحضارة الإسلامية.

والتوحيد هو ذلك المبدأ الذي يمنح الحضارة الإسلامية هويتها ويربط جميع مكوناتها معا

ليجعل منها كيانا عضويا متكاملًا نسميه حضارة، وهو التوحيد في هذه الحال بطبع تلك

العناصر بطابعه الخاص ثم يعيد تكوينها بشكل يتناسق مع العناصر الأخرى ويدعمها. ولا

يقوم الجوهر ضرورة بتغيير طبيعة تلك العناصر بل يحولها ليصنع منها حضارة ويعطيها

صفات جديدة التي تكون تلك الحضارة ويختلف مدى التحول بين ضئيل وجذري اعتمادا

على مدى علاقة الجوهر بالعناصر المختلفة ووظائفها وقد برزت هذه العلاقة في أذهان

المسلمين الذين كانوا يتابعون ظواهر الحضارة لذلك إتخذوا التوحيد أهم المبادئ الأساسية التي

تضم أو تحكم جميع المبادئ الأخرى. كما وجدوا فيه المنبع الرئيس والمصدر البدئي الذي

يحكم جميع الظواهر في الحضارة الإسلامية.

والتوحيد بالعبارة البسيطة المتوارثة هو الاعتقاد والشهادة " أن لا إله إلا الله " وهذا القول بصيغة

النفي الموجز أشد الإجاز يحمل أعظم المعاني وأغناها في الإسلام قاطبة وقد تتكثف في جملة

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

واحدة ثقافة كاملة أو حضارة كاملة أو تاريخ بأجمعه. وهذا بالتأكيد هو ما نجده في "الكلمة" أو "الشهادة" في الإسلام فكل ما في الإسلام من تنوع وغني وتاريخ وثقافة ومعرفة وحكمة وحضارة يجتمع في هذه الجملة البالغة القصر " لا إله إلا الله".

-التوحيد بوصفه نظرة تفسير العالم.

التوحيد نظرة عامة إلى الواقع والحقيقة والعالم والزمان والمكان والتاريخ البشري. وبهذا المعنى فهو يشمل المبادئ التالية:

**الثنائية:** الواقع جنسان منفصلان الله وغير الله، الخالق والمخلوق وفي المرتبة الأولى لا يوجد سوى واحد أحد. هو الله المطلق القادر هو وحده الله الدائم المتعال لا شبيه له باق إلى الأبد واحدا مطلقا لا شركائه له ولا أعوان. وفي المرتبة الثانية يوجد المكان، الزمان، الخبرة، الخليفة وهي تضم جميع المخلوقات وعالم الأشياء والنبات والحيوان والبشر والجن والملائكة والسماء والأرض والجنة والنار وكل ما آلا إليه منذ جاءوا إلى الوجود والترتبان من خالق ومخلوق مختلفان غاية الاختلاف من حيث طبيعة وجودهما.

كما من حيث كونهما ومساراتها ومن المستحيل قطعا أن يتحد الواحد بالآخر أو يذوب أو يتداخل أو ينشر فيه ولا يمكن للخالق أن يتحول وجوديا ليصبح المخلوق. كما لا يمكن للمخلوق أن يتسامى ويتحول ليصبح الخالق بأي شكل أو معنى.

لدى القول إن الله هو الله وإن عمله ليس عبثا. يجب أن تكون الخليفة مطواعة قابلة للتحويل وقادرة على تغيير جوهرها وبنيتها وأحوالها وعلاقتها لكي تجسد النسق أو الهدف الإنساني أو تجعله ملموسا ويصدق هذا على الخليفة بأسرها بما في ذلك طبيعة الإنسان الجسدية والنفسية والروحية وجميع المخلوقات قادرة على تحقيق ما يجب أن يكون أي إرادة الله أو نسقه الكامل في هذا المكان وهذا الزمان.<sup>14</sup>

### تعريف الحضارة الإسلامية

<sup>14</sup>إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع السابق نفسه بالتصرف 131

حينما نقول الحضارة فهذا الفعل فعل "حضر" حضر شخص أي شاهد أي الحضارة تأتي بمعنى الشهود فالبتالي الإنسان الذي يصنع حضارة أو أمة تصنع حضارة أو دولة، فهي شاهدة ومشهودة شاهدة على العصر ومشهودة على الناس أو البشرية شاهدة أنها شاركت وتركت بصمة لهاته البشرية، وحينما نقول الحضارة الإسلامية معناه ما أنتجته الحضارة الإسلامية في مختلف التخصصات سواء العقديّة أو الدينية أو السياسية أو الفلسفية أو

الإجتماعية وما تركته وجعلته إرثا ليس لأبنائها فقط وإنما إرثا للبشرية جمعاء فالذي يدعي أن الحضارة الإسلامية حضارة منغلقة على نفسها فهذا خاطئ إما أنه إنسان وإما أنه إنكار وإجحاف في حق هاته الحضارة هذا من جهة من جهة أخرى يقال أن الحضارة الإسلامية قامت على أكتاف الحضارات الأخرى وأن هاته الحضارة هي حضارة مخدومة وليست حضارة خادمة طبعا هذا الكلام هو كلام سائر وسائل ومنتشر كثيرا نجده يقال على أفواه الناس ويقال أحيانا في المقالات لبعض المفكرين وللأسف قد نجد من هؤلاء المفكرين من هم عرب ومسلمين ويقولون ويدعون هذا الإدعاء في الحقيقة هاته الظاهرة قد تسمى بالنعرة بسبب ضعف هاته الأمة في مائة سنة الأخيرة ويقولون أنها إستقلت من الحضارة الغربية يعني أنها لم تتفاعل مع الحضارات الأخرى وإنما هي مخدومة أخذت ولم تعطي شيئا ولا شك أن هاته الفكرة فيها إنسلاخ عن الهوية العربية الإسلامية وفيها تقليد للغرب بصفة مطلقة، يعني: هذا الإنسان الذي يقول هذا الكلام هو إنسان دائب في الفكر الغربي ممكن أن نسمي هذا النوع من النقاد الذين نعتوهم ب نخب ثقافية ذات عقل مرتهن أي عقولها مرتهنة لدى الغرب تفكر بالعقل الغربي مثلا " ما ركوم إكس" في أمريكا سمي هذا النوع الذي هو أسمر يعني أن يكون إنسان أسود ولكن يفكر بعقلية الأبيض، يعني لما كانت هناك صراعات ما بين السود والببيض في أوروبا وسماه "ماكوم إكس" ب زنجي البيت أي أنه زنجي أسود ولكنه فكره فكر الببيض أي أنه إنسلخ عن هويته إنسلخ عن قيمه وحضارته فصار يفكر بتفكير غربي فالبتالي ضرب عرض الحائط كل ما أنتجته الحضارة الإسلامية وكأنه يعتقد أن إنتسابه للحضارة الإسلامية ربما قد يشوه بصمته كما يقول "جلال آل أحمد"

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

وصفا هؤلاء المرتهنون أصحاب العقول المرتهنة أو هاته النخبة المثقفة التي تقول أن الحضارة المخدومة وليست خادمة وأنها لم تنتج شيئا وصفهم جلال آل محمود بذلك الإنسان مسه مس من الشيطان ولكن هذا الإنسان مسه مس من الغرب سماهم ب "ممسوس الغرب" أي أن الغرب صار هو الشيطان في هاته الحالة وصار يقول ويتكلم بما يقول هؤلاء الغربيين .

بعض أهل العلم يقول أن الحضارة الإسلامية لها جوانب ثلاثة

### الجانب الأول

1- صلة الإنسان بربه علاقته بربه وهذا القائم على العبادات ثم صلة الإنسان بأبناء مجتمعه وصلة هذه الأمة أمة الإسلام بغيرها من الأمم التي تعيش في زمانها من أمم الدنيا أيا كانت من أهل الكتاب ومن غير أهل الكتاب ، ويقول هؤلاء أن الحضارة الإسلامية قامت على هاته الجوانب الفقه هو المادة الرئيسة لهذه الجوانب الثلاث كيف تصاغ كيف تقال كيف تمضي كيف تنتظم كيف تكون هذا مايجيب عنه الفقه الإسلامي وعندما نتكلم عن تاريخ الفقه الإسلامي لا نتكلم عن أحكام تدون في الكتب والأوراق ويقرأها الأول ويحفظها الآخر وإنما المراد أن هذا الفقه ينزل على الواقع ومن أجله أنزل الله عز وجل كتابه العظيم "ويبقى هدى للناس إلى قيام الساعة وجاءت السنة تبين ما في الذكر من مجمل وتفيد مطلقة وغيره.

العرب لهم الفضل في السبق والريادة فهذا أمر طبيعي فمن جزيرتهم إنطلقت الرسالة

الإسلامية غير أن الأقوام المسلمة الأخرى مثل الترك والفرس والكرد وشوفي آسيا الوسطى وشعوب إفريقيا البيضاء والسمراء وشعوب القارة الهندية وآسيا الصغرى وأقوام القوقاز بل حتى الشعوب الأوروبية

المسلمة مثل الألبان والبنسوسيين كل هذه الأمم حفرت نقشها على جدار الحضارة الإسلامية أكثر من ذلك الطوائف المسيحية وأهل الديانات القديمة في المشرق مثل الزرادشت و اليهود حفظت أسماء أعلام منهم في الطب والهندسة والعمارة والأدب والوظائف السياسية أيضا وهذا

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

كله ثابت لا جدال فيه وهذا يؤدي إلى خلاصة واحدة لا جدال فيها لأن الحضارة الإسلامية أكبر وأشمل وأعمق من أن يعتزلها عقل مغلق أو أن يتعامل شاب بتحريض من رجل جاهل أو متجاهل مع هذه المكونات الحضارية لنا وكأنها وليدة اليوم وكأن هذه المكونات لم تساهم ببناء والتشييد الحضاري الإسلامي من اليوم الأول فالجهل هو مصدر الشرور كلها لذلك ولكي نتقي هذا الجهل نتقي أن نذكر أنفسنا من حيث لآخر بمعنى كلمة "الحضارة الإسلامية" تعبر حضارة أي مجتمع عما وصله إليه الشعب في الفنون والعلوم والعمران ونمط الحياة والعيش وأساليب الإدارة والسياسة.

إمتدت الحضارة الإسلامية على مدى أكثر من ألف عام كأكبر حضارة بشرية عرفها التاريخ حكمت الحضارة الإسلامية أكثر من 60 مليون إنسان بما يعادل ثلث سكان العالم ذلك الوقت توسع حكم الدولة الإسلامية ليمتد من الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا إزدهرت مدن كبغداد ومصر ودمشق وخراسان وقرطبة وأصبحت منارات للعلم والعلماء شاركت قوميات وشعوب في صناعة الحضارة الإسلامية على رأسهم العرب والفرس والترك والهنود والبربر والألبان. عاشت أديان ومذاهب في ظل الحضارة الإسلامية كاليهودية والمسيحية وأصبح بعض أبناءها رموزا فاعلين في تاريخها.

فنحن نتحدث عن شيء كبير فماذا سيكون مصير علوم مثل الطب والفلك أو الجبر أو الرياضيات لو شطبت هذه القرون المتتالية من سجل التاريخ البشري طبعاً الجواب يعرفه أهل التخصص في مطالعة التاريخ تاريخ العلوم بوجه خاص وتاريخ المدن المسلمة التي ظلت لحقبة مديدة مقصد التوجه الإنساني الحضاري.

ثراء بلا حدود تنوع بلا قيود هذا التنوع لم يقتصر على مدن من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب لا لقد كان أيضاً تنوع يمس البشر والأفراد أعلام شامخة عمارة الحضارة الإسلامية.

التنوع الديني في الحضارة الإسلامية

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

شغل المسيحيون في العصر الأموي وظائف هامة فكان منهم الأطباء والوزراء والشعراء وعين "معاوية" ابن اثال عاملا على ولاية 'حمص'

كان شاعر البلاط في عهد بني أمية المسيحي التغلبي الأخطل الذي كان ثالث أشهر شعراء النقائض مع جرير والفرزدق كان طبيب الخليفة "هارون الرشيد" (جبريل بن بختيشوع) وهو مسيحي مشرقي قبل عاش في بغداد وألف عددا من الكتب في المنطق والطب.

في العصر العباسي كان هلال بن المحسن من طائفة الصائبة وليا لديوان الإنشاء في بغداد ومؤرخا لتاريخها وتاريخ أومرائها كان من وزراء غرناطة ومن قادة الجيوش إبان الحكم الأندلسي إسماعيل بن النغيلة وهو شاعر يهودي وعسكري سياسي.

وفي العصور الحديثة لدينا نماذج أخرى فمن ينسى على سبيل المثال "آل اليازجي" و"آل البستاني" في لبنان وهم من أعلام وعلماء اللغة العربية الكبار وهم من مسيحيي لبنان العرب كيف خدم هاذان البيتان اللغة العربية خدمات بنوية تبني هذه اللغة ومن ينسى إذا ذهبنا إلى العراق العلامة العراقي الكبير الأب أنستاس ماري الكرمللي ومن ينسى في السياسة العربية الاستقلالية أسماء مثل (فارس الخوري ومكرم عبيد باش لقد كان هؤلاء إمتداد لثقافة إجتماعية راقية في الماضي الإسلامي.

بلغت الأندلس أوج إزدهارها عندنا تألقت الخلافة عندما كانت طليطلة تحت الحكم

الإسلامي فأهالي طليطلة إعتبروا أنفسهم أندلوسيين لم تكن مجرد منطقة صغيرة في الجنوب ولأنك

جزء منها سمح لك بممارسة أيا من الديانات فأنت حر بإختيار دينك أو كنيستك أو مسجدك ويمكنك أن تعيش بأمان فلا إكراه في الدين هذا هو الدرس العظيم لتجربة الأندلسية وهذه شهادة خبير في التاريخ الأندلسي وماذا فعل الأندلوسيون المسلمون هناك ،هذا الباحث هو (خوسيه مولينيوم) لقد كان ماضيا في أغلبه ولا ننفي هناك حروب وفتن مرت في هذا الماضي لكنه



ماضي في أغلبه كان شمع وحافل بالعفوية في التنوع هذه العفوية كانت تمارس دون تنظير كثير كانت ممارسة عادية لقد كان تراثا مجيدا يحاول من يدعون الحمية للتراث والهوية القديمة شطبه وهدمه فهل من إستلهاً لهذا الماضي.

المطلب الثاني: أسس الحضارة الإسلامية.

### 1- مصادر التشريع

#### أ - القرآن:

يتكون النص القرآني من 114 سورة و 2212 آية و 77934 كلمة و 323671 حرفا وقد نزل في مكة و المدينة وماجاورها في كل مرة وقد نزل في مكة و المدينة وما جاورها ، في كل مرة بضعة آيات- ومن هنا جاءت تسمية السور المكية و المدنية وبإستثناء ما نزل من أوائل السور التي التي كانت مفاجأة مذهلة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان لكل مرة ينزل فيها الوحي سياق يخصها وأغلب هذه الأحوال إن لم تكن جميعها معروفة لدى العلماء بإسم أسباب النزول .وفي كل مرة ينزل فيها الوحي كان التنزيل من البداية إلى النهاية ينطبع أول الأمر في ذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم- ثم يبلغه إلى أهله وأصحابه الذين كانوا يحفظونه غيبا ويتداولون تلاوته حتى يدونه أخيرا في شكل نص.

وفي نهاية حياة محمد صلى الله عليه وسلم كان له ثلاثون ألفا من المعاصرين الذين كانوا قد سمعوا القرآن وحفظوه كليا أوجزئيا وكان بعضهم يحسن القراءة والكتابة فدونوا القرآن بأسره أو بعض أجزائه ولا شك أن مواد الكتابة كانت بدائية مثل الجلود والعظام والحجارة أو الخشب أو القماش وأوراق البردي.

وبما أن نزول القرآن كان عملية تراكمية إمتدت ثلاثة وعشرون عاما فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يرتب القرآن ويعيد ترتيبه سنة بعد سنة وكان ذلك يجري خلال رمضان شهر الصيام عندما كان الملك جبريل يبين للنبي أن يدخل الإضافات ويضمن المقاطع الجديدة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو في شعائر علنية كل ما كان قد أوحى إليه حتى حينه حسب النظام الجديد الذي بينه له الملك وعلى مدى أربعة عشر قرنا كان مئات الآلاف

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

من المسلمين يتبعون سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شعائر تلاوة القرآن من الذاكرة وتتص الشريعة الإسلامية على أن تلاوة القرآن في الصلاة وهي من شعائر العبادة لا يجوز أن تقاطع إلا في حالة نقض الوضوء أو الموت ولكن يجوز بل يجب أن تقاطع في حالة الخطأ في التلاوة. وفي هذه الحالة يمكن لأي واحد من العابدين أو المصلين أن يرفع صوته بالتلاوة الصحيحة للمقطع الذي حصل فيه خطأ أو حذف أو لحن.

ولا يوجد تاريخ للنص القرآني ولا يمكن أن يوجد مثل ذلك التاريخ إلا أن يكون متابعة شكل وإستعمال حركات الإعراب وأنواع الخطوط.

القرآن الكريم كتاب الله الذي << لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد >> [فصلت 42]. << كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير >> [هود 1]<sup>15</sup>

### - المعاملات

جمع الله أساس المعاملات في مواضع من الكتاب الكريم ومنها أنه:

- أمر أوما بالوفاء بالعقود في قوله تعالى << يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود >> [المائدة 1]

والعقود كلمة تشمل جميع الإلتزامات التي يلتزمها الإنسان للإنسان من بيع وشراء ورهن وإجارة وغير ذلك من ضروب المعاملات.

نهى عن أكل الربا نهيا مشددا في أكثر من آية ومثل آكله أشنع تمثيل. وأذنبهم بحرب من الله ورسوله إن لم يقلعوا عن أكله لئلا تضيع المروءة من الناس وتذب الكراهية في نفوسهم فضلا عما فيه من مفسد أخرى كثيرة فقال << الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس >> [البقرة 275] وقال << فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله >> [البقرة 279].

بين كيفية التعامل في أطول آية من القرآن وهي آية الدين فقال << يا أيها الذين آمنوا إذ تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه. >> [البقرة 282]

<sup>15</sup> إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 164.

أمر فيها أمرا مؤكدا بكتابة الدين والشهادة عليه وجعل للدين أجلا ينتهي إليه وجعل الرهن وثيقة بما في الذمة إن لم يجدوا كاتباً ثم أوجب أن يؤدي الأمين ما أؤتمن عليه من أئتمنه. أمر بالعدل وحث عليه وأكدته تأكيدا في غير ما آية فقال << وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل >> [النساء 58] وقال << ولا يحزنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى >> [المائدة 8]

وقال عز وجل << إن الله يأمر بالعدل والإحسان >> [النحل 90] .

### 2 - الحدود والقصاص

حرم القرآن القتل وسفك الدماء وبين أن من قتل مظلوما فقد جعل لوليه سلطانا في الإقتصاص ونهاه عن أن يسرف في القتل فقال << ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا >> [الإسراء 33] وبين أنه شرع لنا القصاص في القتل فقال << يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل >> [البقرة 178] أما الحدود فقد ذكر منها أربعة:

الأول: حد الزنا وقد جعله الكتاب مائة جلدة فقال << الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر >> [النور 2]<sup>16</sup>

الثاني: القذف وقد جعله الكتاب ثمانين جلدة فقال << والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون >> [النور 13]

الثالث: حد السرقة وقد جعله الكتاب قطع اليد فقال << والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله >> [المائدة 38].

الرابع: حد قطاع الطريق وهم الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا وقد بينه بقوله: << إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو

<sup>16</sup> أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 38 وما يليها.

يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم >> [المائدة33].

فجعل للإمام أن يقتلهم أو يصلبهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفهم من الأرض.

### الآداب الإجتماعية ووالأخلاقية

ذكر القرآن الكريم الآداب الإجتماعية ووالأخلاقية التي تدل بوضوح على سمو الدين الإسلامي وأنه دين إجتماعي يهدف إلى سعادة المجتمع في دنياه. كما يهدف إلى سعادته في آخرته ومن هذه الآداب

1 - آداب الإستذان بين أهل البيت الواحد وقد بينهما << يا أيها الذين آمنوا ليسأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهم طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم >> [النور58]<sup>17</sup>

ومن المحظورات في الأخلاق الإجتماعية في القرآن الكريم:

- كل تملك غير مشروع

<< يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم >> [النساء29]

- الإيذاء بلا مبرر << والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما إكتسبوا فقد إحتملوا بهتانا وإثما مبينا >> [الأحزاب58]

- التواطؤ على الشر << ولا تعاونوا على الإثم والعدوان >> [المائدة2].

<sup>17</sup> أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص41

- الدفاع عن الخونة <<ولا تكن للخائنين حصيما >> [النساء 105]، <<ولا تجادل عن

الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما >> [النساء 10] <sup>18</sup>

2- السنة: إن ترجمة حقائق الوحي إلى قوانين أو قواعد للسلوك هي عبء ثقيل جدا ألقاه التنزيل الإسلامي على كاهل الإنسان ففي مسار الوعي الدين السامي في الأقل هذه هي المرة الأولى

التي يفقد فيها قداسته وبفعل الدين نفسه إذ جرد القانون من قداسته التي تصفه وحيا مباشرا ومنذ ذلك التاريخ القانون مسؤولية إنسانية يمكن أن يخطئ البشر في ممارستها فإن أحسن التطبيق كان القانون أعظم إنجازات الإنسان وإن أسوء تطبيقه كان ذلك أكبر سقوط له. ومهما يكن من أمر فقد غدا سن القوانين عملا بشريا مثل أي عمل بشري آخر يمكن أن يصيب أو يخطئ فإن أخطأ كان على الإنسان أن يكتشف موضع الخطأ ويصح ذلك القانون ويسير به إلى التوافق مع المبادئ الإلهية المصدر والتي يشكل القانون ترجمتها ولاشك أنها رحمة من الله أن قدر مساعدة الإنسان في القيام بهذا التكليف عندما يسر له مثلا وتوضيحا وتفسير لمبادئ الوحي العامة وهذا بالضبط هو مفهوم السنة .

والسنة بمعناها الخاص هي مجموعة من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله وإقراره. وهي تشمل آراءه حول الأمور الطيبة أو الخبيثة المرغوبة أو غيرها. إضافة إلى الممارسات التي رضي عنها بوصفها تليق بمسلك المسلمين وتقوم السنة على الكلمات والعبارات المنسوبة مباشرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى صحابته الكرام الذين شهدوا موافقة وأفعاله ورووها عنه وكل مادة في السنة تنقل رواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تسمى حديثا وتأتي السنة في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ودورها توضيح أحكام القرآن وتمثيل وغاياته وتصويرها وحيث تكون العبارة القرآنية عامة. تقوم للسنة بتخصيصها لتجعلها قابلة للتطبيق وحيث تكون العبارة القرآنية عامة تقوم السنة

<sup>18</sup> محمد عبد الله دراز، مختصر دستور الأخلاق في القرآن (دراسة للأخلاق النظرية والعملية في القرآن الكريم مقارنة بالنظريات الأخلاقية القديمة والحديثة)، ت: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1996 ص 251

بتخصيصها لتجعلها قابلة للتطبيق وحيث تكون خاصة تعممها لتجعل الإستنتاج منها ممكنا لتفصيلات أخرى وقد حفظ السنة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أول الأمر كما إستطاع كثير منهم تدوين أقوال صلى الله عليه وسلم قد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين أقواله أول الأمر خشية أن يخلط المسلمون في بداية عهدهم بالدين بين كلام الله وكلام محمد. وبعد ذلك عندما زال إمكان مثل هذا الخلط لكثرة من حفظ القرآن غيبا أجاز الرسول صلى الله

عليه وسلم لصحابته أن يدونوا السنة وكان من بين الصحابة دونوا لبعض أجزاء من السنة سعد بن عبادة الأنصاري (15 هجري / 637م) وعبد الله بن أبي أوفى والسمره بن جندب (60 هجري / 680م) وجابر عبد الله (78 هجري - 698م) ووهب بن منبه (14 هجري / 732م) وهو الذي ورث مجموعة أبي هريرة (58 هجري / 678م) وعبد الله بن عمرو الذي دون أكثر من ألف حديث<sup>19</sup>

وهكذا كانت السنة موضع سمع ويصر وإستذكار وتدوين وتوصيل من السلف إلى الخلق ومنذ القرن الثالث الهجري إنتضمت السنة في ست مجموعات متعددة تسمى الصحاح وبناء على الدقة التي بها إنتقاء الأحاديث وتصنيفها. يشمل أصحاب الصحاح البخاري ( 256 هجري - 870م ) ومسلم ( 251 هجري / 865م ) ، وأبا داود ( 275 هجري / 888م ) وإبن باجة (273 هجري / 886م ) والنسائي (303 هجري/915م) والترمذي ( 279 هجري/ 893 م ) ومن بين هذه المجموعات تتميز أول إثنين منهما في نظر جميع المسلمين بالتمحيص والمرجعية فما يوجد من مواد في نصوص هاتين المجموعتين أكثر مرجعية أكثر مرجعية مما في الأخريات.<sup>20</sup>

2-الإجماع: تعريف الإجماع لغة: يطلق على العزم والإتفاق وقد جاء بمعنى العزم في كتاب الله تعالى <<فأجمعوا أمركم وشركاءكم >>

<sup>19</sup>إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 179  
<sup>20</sup>إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 182

وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم << لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل الفجر >> وجاء بمعنى الإنفاق في قوله تعالى << واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب >> [يوسف15]

**إصطلاحاً:** هو إتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد بعد وفاته على حكم

شرعي شرح التعريف

**إتفاق:** ضد الإختلاف وخرج به جميع الأحكام المختلف فيها

**مجتهدي:** خرج بذلك المقلدون والصبيان والمجانين والكفار والعوام فهؤلاء لا يضر مخالفته للإجماع.<sup>21</sup>

**عصر من العصور:** المعتبر في كل إجماع أهل عصره من المجتهدين من الأحياء الموجودين لأن الإجماع قول مجتهدي الأمة في عصر من العصور.

**بعد وفاته:** وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كان هو مصدر التشريع فلا

قضاء بعد قضائه صلى الله عليه وسلم حكم شرعي: خرجت الأحكام غير الشرعية.

**أدلة حجية الإجماع:** إتفق أهل العلم على أن الإجماع حجة شرعية يجب إتباعها والمصير

**الأدلة من الكتاب:** قوله تعالى <<ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

سبيل للمؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً>> [النساء115].

4-**القياس:** القياس هو المصدر الرابع من مصادر التشريع بعد القرآن والسنة والإجماع.

**القياس لغة:** هو التقدير ومنه قولهم: قست الثوب بالذراع إذا قدرته والقياس والمساواة يقال لا

يقاس بفلان -أي لا يساويه.

<sup>21</sup>متولي البراجلي دراسات في أصول الفقه "مصادر التشريع" مكتبة السنة الطبعة الأولى القاهرة 2010 ص 219 و220

**القياس اصطلاحاً:** إلحاق حكم الأصل بالرفع لعلة جامعة بينهما أو: إلحاق ما لم يرد فيه نص بما ورد فيه نص في الحكم. لإشتراكهما في علة ذلك الحكم.  
**شرح التعريف حكم الأصل:** وهي الأحكام من وجوب أو ندم أو تحريم أو كراهية أو إباحية. الأصل: المقيس عليه.

الفرع: المقيس

**العلة:** هي الوصف الذي إعتبر مظنة إثبات حكم الأصل فإنها مناطة لأنها مكان تعليقه.

**أركان القياس:** من التعريف السابق يتضح أن للقياس أربعة أركان الأصل: وهو ما ورد النص بحكمه

**الفرع:** وهو ما لم يرد نص بحكمه ونريد أن يكون له حكم الأصل بطريق القياس.

**حكم الأصل:** وهو الحكم الشرعي الذي ورد به النص في الأصل ويراد أن نعيده الفرع.

الوصف الجامع (العلة الجامعة): وهو الوصف الموجود في الأصل.

**حجية القياس:** إن الأحكام الشرعية قضاها الله تبارك وتعالى وفيها المنافع للعباد في الدنيا والآخرة وفيها درء الضرر على العباد في الدارين.<sup>22</sup>

**نظام الحكم:** نظام الحكم في شبه جزيرة العرب قبيل الإسلام

عرف العرب الملكية في اليمن وفي مملكة كندة ولكن النظام القبلي كان أحد الأنظمة الإجتماعية التي لازمت حياة البداوة. وكان زعيم هذا النظام (شيخ القبيلة) الذي يختار ضمن شروط منها:

عراقة الأصل والنضج والكرم والشجاعة والحلم وكان لشيخ القبيلة مجلس إستشاري من عقلاء القبيلة وليست دار الندوة في مكة المكرمة إلا شكلاً من أشكال المجالس الإستشارية.

<sup>22</sup>متولي البراجلي دراسات في اصول الفقه مصادر التشريع مكتبة السنة الطبعة الاولى القاهرة 2010 ص 219 و220



### حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد كانت حكومة رسول الله صلى الله عليه وسلم حكومة دينية إعتمدت على عقيدة الرعية وقامت على أساس إحلال الوحدة الدينية بدل العصبية القبلية وأخذت صورة الجهاز الحكومي بالظهور فالسلطة التنفيذية بدت في قيادته صلى الله عليه وسلم الغزوات وبعثه السرايا وتوزيع الغنائم وتولية الأمراء وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في مسجد المدينة المنورة ويقبل عليه الناس يسألونه عن قضاياهم وكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه وخصوصا أبا بكر الصديق حتى عد بعضهم أبا بكر الصديق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما وجدت السلطة القضائية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بين المتخاصمين وكان حكمه ملزما.

أما السلطة التشريعية فقد كانت آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسن للناس قواعد السلوك في حياتهم الإجتماعية.

<<والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون

>>[الشورى3842]<sup>23</sup>

- الخلافة: الخلافة مصدر خلف يقال خلفه في قومه نخلفه خلافة فهو خليفة ومن قوله تعالى <<وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي >> [الأعراف 7 / 142 ]

ثم أطلقت في العرف العام على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على الأمة كافة والقيام بأمرها والنهوض بأعبائها

والخلفي بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة لغة في الخلافة حكاها الجوهري في الصحاح وقال ابن الأثير في نهايته في غريب الحديث وهو من المصادر الدالة على معنى الكثرة ومنه

<sup>23</sup>متولي البراجلي المرجع السابق نفسه ص 222 ومايلها

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أطيع الأذان مع الخليفة لأذنت يريد أنه مشتغل عن الأذان بكثرة إجهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعبائها. وقد اختلف في لفظ الخليفة فقليل: هو فعيل بمعنى مفعول. كجريح بمعنى مجروح ويكون المعنى أنه يخلفه من بعده. وعليه حمل قوله تعالى في حق آدم عليه السلام <<إني جاعل في الأرض خليفة >> [البقرة 3 / 30] وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم ويكون المعنى فيه أنه يختلف من قبله وعليه حملا لآية السابقة من قال: إنه كان قبل آدم في الأرض مخلوقات منها ملائكة مثلا وإنه خلفهم فيها وعليه خوطب أبو بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله.

ويجمع الخليفة على خلفاء كما في كريم على كرماء وعليه ورد قوله تعالى <<واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح >> [الأعراف 7 / 69] ويجمع أيضا على خلائف حملا على تأنيث اللفظ. كما تجمع صحيفة على صحائف وعليه جاء قوله تعالى <<وهو الذي جعلكم خلائف الأرض >> [الأنعام 6 \_ 165]<sup>24</sup>

**واجبات الخلافة:** يلزم الرعية للخليفة أمران (الطاعة) على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية لا سمع ولا طاعة و (المعاوضة والمناصرة) في أمور الدين وجهاد العدو <<

وتعاونوا على البر والتقوى >> [المائدة 2/5]، <<ومن خرج من الطاعة أو فارق الجماعة مات ميتة جاهلية >>

شوقي ابو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 225<sup>24</sup>

1- حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها السلف الأمة فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له

الحجة وأوضح له الصواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من

الخلل والأمة ممنوعة من الزلل.

2- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى تظهر النصفة، فلا يتعدى ظالم

ولا يضعف مظلوم.

3- حماية البيضة (بيضة القوم أي ساحتهم وبيضة الإسلام جماعتهم).

4- إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف

واستهلاك

يقتصر سبحانه على التفويض دون مباشرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم << كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته >> وتصدر عن الخليفة عشر وظائف وهي: الوزارة الإمارة. الإمارة

على القتال القضاء ولاية المظالم-النقابة على ذوي الأنساب النظر على إقامة الصلوات،

الإمارة على الحج جباية الصدقات والنظر في الحسبة.<sup>25</sup>

2- الوزارة: جاءت كلمة وزير في كتاب الله المجيد في صورة [طه] << واجعل لي وزيرا من

أهلي هارون أخي >> وهي تعني المشير والمؤازر وجاء في حديث السقيفة < نحن الأمراء

239 إلى 243 وأنتم الوزراء > وفي طبقات محمد بن سعد أن أبا بكر كان وزيرا للنبي صلى

الله عليه وسلم.

وجاء في عيون الأخبار إن كلمة وزير مشتقة من الوزر وهو العمل يراد أنه يحمل من الأمور

مثل الأوزار ويقال للآثم وزر تشبيها له بالحمل على الظهر قال تعالى << ووضعا عنك

شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه ص 225 25

وزركوزركالذي أنقذ ظهرك >> أما في الأندلس فكما يقول ابن خلدون << واما دولة بني أمية في الأندلس فأنفوا إسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافا وأفردوا لكل صنف وزيرا وجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسل وزيرا وللنظر في حوائج المتضلمين وزيرا وللنظر في أحوال الثغور وزيرا وجعل لهم بيتا يجلسون فيه على قریش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه بإسم (الحاجب) ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب

**3 - الإمارة:** إستعملت كلمة أمير في تاريخنا العربي الإسلامي في موضعين (أميرالجيش) أي قائده و(أمير البلاد) وهو يقابل المحافظ في لغة الإدارة اليوم كما إستعملت كلمتا عامل ووال في هذا المعنى أيضا ولعل كلمة أمير الإدارية مأخوذة من الإمارة الحربية فإن الخليفة كان يؤمر الرجل على جيش الفتح فإذا كتب الله له الظفر فقد يستبقه عاملا على البلاد المفتوحة . فيسميه الناس باسمه الذي عرفوه به من قبل (أمير)

لقد أدار الخليفة الأمور في مقر الخلافة أما في الأمصار فكان يديرها (الأمراء) وكانت الإمارة تعني ولاية الأمهور الدينية والسياسية والحربية والقضائية والإدارية بإستثناء جباية المال

فإذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت إمارته عامة وإن قصرها إمارته على الصلاة فهي إمارة (خاصة).<sup>26</sup>

### نوعا الإمارة:

**1-الإمارة العامة:** وهي إما إستكفاء أو إستيلاء، إمارة إستكفاء بعقد عن إختيار ويشمل عمل الأمير فيها سبعة أمور: تدبيرالجوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم والنظر في الأحكام وتقليد القضاء والحكام وجباية الخراج وإستلام الصدقات وتقليد العمال فيهما، وتفريق ما إستحق منهما وحماية الدين ومراعاته دون تغيير أو تبديل وإقامة الحدود في حق الله وحقوق

شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه ص 239 الى 243<sup>26</sup>

الآدميين والإمامة في الجمع والجماعات يؤم بها أو يستخلف عليها وتسيير الحجيج بأمان وراحة.

وإذا كان الإقليم ثغرا متاخما للعدو، وكان عليه واجب ثامن وهو جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس.

إمارة الاستيلاء: وهي عقد على إضطرار أو إقرار حالة رهنه وهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلد الخلافة فيقر الخليفة واقعا، رغبة في حقن الدماء واستدعاء للطاعة وحفاظا لمنصب الخلافة ألا يتعدد مع إجتماع الكلمة على الألفة والتناصر ليكون المسلمون يد أعلى من سواهم. وحفاظا لأحكام الدين حتى تكون الولاية جائزة والحدود مستوفاة بحق.

الإمارة الخاصة: يقتصر دور الأمير فيها على تدبير الجيش وسياسة الرعية له أن يتعرض للقضاء والأحكام والجباية الخراج والصدقات.

4 - الحسبة: <<ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون >> [آل عمران 2 - 104].

الحسبة لغة: مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حسبة واحتسب فيه احتسابا والاحتساب طلب الأجر والإسم الحسبة (بالكسر) وهو الأجر والمحتسب كما<sup>28</sup> يقول "الماوردي" مشتق من قولهم: حسبك بمعنى (اكفف) سمي لذلك لأنه يكفي الناس مؤنة من يخسهم حقوقهم. الحسبة: موضوعها التحدث على أرباب المعاييش والصناع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشتة وصناعته. والحسبة (وظيفة) يتولاها مسؤول من قبل ولي الأمر وهي فرض عين عليه وعلى من تبعه من أعوان وعاملين عليها معه فحكمها إذن. الوجوب على الكفاية فهي واجب ملقى على عاتق المجمع الإسلامي لتضبط حركة الحياة في داخلها ومن حولها من خلال الشريعة لذلك فرقوا بين المحتسب (الموظف) المعين من قبل الدولة وبين المحتسب الفرد وهو المسلم (المتطوع) في المجتمع عند قيامه بهذا الواجب دون تعيين من الدولة ولا تعارض بينهما. لأن ترك زمام الحسبة في يد موظفيها فحسب. تفتقد

الحسبة فاعليتها خصوصا إذا إتبع نطاق المجتمع أو تهاون ولاية الحسبة لرقعة في الدين عن الإلتزام بأوامره ولكن المحتسب ( الموظف ) أن يبحث عن المنكرات وليس ذلك على المحتسب ( المتطوع ) والمحتسب ( الموظف ) سلطة التعزير عقابا وتأديبا وليس ذلك للفرد ( المتطوع ) والمحتسب ( المتطوع ) أقدم زمنا وأجره على الله والمحتسب ( الموظف ) أحدث زمنا وله أن يتقاضى أجرا ماديا لكونه موظفا . والحسبة نظام من النظم الإدارية الإسلامية يطلق بالمعنى الواسع على وظيفة المحافظة على النظام العام والمراقبة لما يجري بين الناس من معاملات والفصل الفوري في المنازعات مما لا يدخل في اختصاص القاضي.

ينتقى المحتسب من أصحاب الرأي والصرامة والعلم والورع والتقوى لأن الحسبة صيانة حقوق الله ورعاية حقوق العباد.<sup>27</sup>

لعبت وظيفة الحسبة دورها بجانب وظيفتي القضاء والمظالم في إقرار الحق والعدل بين الناس في المغرب الأقصى، والحسبة من الوظائف الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي بذلك معاونة للقضاء إذ هي تسهر على تنفيذ القوانين المتعلقة بالمصالح والآداب العامة وتعمل على حماية الجمهور من الغش والاستغلال ولارتباطها<sup>28</sup> بحماية الجماهير فإن لها صلة الثقة بالشرطة حيث يعد المحتسب الشرطي المسؤول عن الأسواق والآداب العامة وقد حدد العلماء شروطا لا بد من توفرها فيمن يضطلع بالقيام بوظيفة الحسبة ومنها أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة حرا عدلا ذا صرامة وخشونة في الدين غنيا نبيلًا فطنا لا يميل ولا يرتشى وحتى يؤدي المحتسب واجبه على خير وجه فله أن يتخذ الأعوان والغلمان وهؤلاء يكونون بمثابة العيون له يوصلون إليه الأخبار وهذا أدعى لبث الرعب والخوف في قلوب العامة.

وقد أشارت المراجع إلى إختصاصات المحتسب وتنوعها وتعددتها فمنها ما يتصل بالنواحي الدينية كأن يأمر العامة بالصلوات الخمس وإقامة صلاة الجمعة والجماعات ومنها ما يتعلق بالآداب العامة كمرقبة الحمامات ومراقبة النساء في الافراح والمآتم وتأديب المجاهرين

<sup>27</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 266

<sup>28</sup>حسين علي حسن الحضارة الإسلامية في المغرب والأنلس مكتبة الخناجي الطبعة الأولى مصر 176

بالمحرمات من شرب الخمر والزنى والفواحش وكسر آلات الملاهي ومنها ما يتعلق بالناحية الإقتصادية والمعاملات من بيع وشراء كمراقبة للموازن والمكاييل ومراقبة الأسواق وما فيها من أنواع المتاجر المختلفة ويضاف إلى هذه الاختصاصات حقه في الإشراف في التعليم والمعلمين وحتى يتمكن المحتسب من ممارسة هذه الاختصاصات فقدمنح السلطة اللازمة في توقيع العقوبات على المذنبين فكان من حقه أن يطرح الشيء المغشوش أو يتلفه أو إهانة الجاني وتوبيخه وكذلك نفيه من السوق أو رفع يد الجاني عن الضعة وكذلك سجنه أو ضربه وبهذه الاختصاصات والسلطات إستطاع المحتسب أو يؤدي دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>29</sup>

**5-القضاء:** يستعمل القضاء والحكم في معنى واحد قال "البرجاني" << القضاء في الخصومة هو إظهار ما هو ثابت >> وقال: «إبنفرحون» << حقيقة القضاء الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام ومعنى قولهم قضى القاضي: أي أزم الحق أهله وقال: السبعي >> القضاء جمعه أقضية وهو الإلزام وفصل الخصومات وولاية رتبة دينية >><sup>30</sup>

أما " إبن خلدون" فقد عرف القضاء بما يلي <<القضاء: منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع ويرى "القلقشندي" أن >> القاضي: هو عبارة عن يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية>>.

**تاريخ القضاء:** في صدر الإسلام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى القضاء بين الناس <<فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما >> [ النساء 4 / 65 ] بإتساع رقعة الدولة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذ بن جبل إلى اليمن للقضاء وإختبر صلى الله عليه وسلم معاذ حين بعثه فقال بم تقضي إن عرض قضاء؟ قال أقضي بما في كتاب الله قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال أقضي بما قضى به الرسول قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قال

<sup>29</sup>حسين علي حسن المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 277 ومايليهها

<sup>30</sup>بالتصرف ص 285

: أجتهد رأي ولا آلو ( بمعنى قصر وابطئ) قال معاذ ف ضرب صدري وقال صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله الذي وفق رسول الله فيما يرضي رسول الله.<sup>31</sup>

**التنظيم القضائي في المغرب الأقصى:** كان للتنظيم القضائي الذي شهده المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة دوره في الحياة الإدارية حيث أقام القضاة بالفصل بين الناس وإقرار العدل بين طبقات الأمة مما ساعد على إنتشار الهدوء والأمن في ربوع المنطقة ولفظ القضاء معناه إنقطاع الشيء وتمامه فيقال قضى الحاكم إذ فصل في الحكم وقضى دينه أي قطع لغريمه قبله بالأداء وقضيت الشيء أحكمت عمله ومنه قوله تعالى << إذا قضى أمرا >> أي أحكمه وأنفذه.

والقضاء من الوظائف الهامة وقد أشار إلى أهميتها "الناهي" بقوله << وخطبة القضاء في نفسها عند الكافة من أسمى الخطط فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل إليهم تصريف أمور الانام يحكمون في الدماء والابضاع والأموال والحلال والحرام وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء >><sup>32</sup>

. وقد اعتبرها ابن خلدون من الوظائف الداخلة تحت الخلافة أي أن الأصل أن يتولى الخليفة القضاء بنفسه، يقول ابن خلدون: << وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه من منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها.

وقد اهتم ولاة الأمر بالمغرب الأقصى سواء أكانوا من المرابطين أم من الموحيدين بالنظام القضائي مستنديين في ذلك إلي نظام الأندلس القضائي بالهبة والحلال حيث حرص الخلفاء على تعيين كبار القضاة بأنفسهم.

<sup>31</sup>شوقي أبو خليل المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 288  
<sup>32</sup>حسين علي حسن المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 156



وقد استعان ولاة الأمر بالمغرب الأقصى بالكثير من القضاة الذين يختلفون في مواطنهم ففي الدولة المرابطية استخدم ولاة الأمر قضاة مغاربة. كموسى ابن حماد الصنهاجي وهو من أهل العدة وقد تولى القضاء بمراكش في عهد أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وتوفي سنة 535 | 1140 ، وكذلك القاضي ابن الملجوم من أهل مدينة فاس وتولى القضاء بفاس ومات سنة 543 هجري / 1148 م ، والقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي وهو من أهل سبتة وقد تولى القضاء ببلدية سبتة وتوفي بمراكش سنة 544 هجري / 1149 م .<sup>33</sup>

2- **الدواوين**: كلمة فارسية في رأي الأصمعي وعليه إقتصر الجوهري في صحاحه فقال الديوان << فارسي معرب >> ومعناها سجل أو دفتر << قال النحاس والمعروف في لغة العرب الديوان في الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه وقد روي عن ابن عباس >> إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب >>. الديوان: مجتمع الصحف فارسي معرب وفي الحديث لا يجمعهم ديوان حافظ قال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء.<sup>34</sup>

وأطلق الديوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان ويجلس فيه الكتاب يقول " الماوردي " << والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال >> ويضيف القراءة والديوان بالفارسية إسم للشياطين فسمي الكتاب بإسمهم لخدمتهم بالأمر ووقوفهم منها على الجلي والخفي وجمعهم لما شد وتفرق ثم سمي مكان جلوسهم بإسمهم فقبل ديوان.

### 6- الجيش والأسطول:

الجيش: لم يكن للعرب في جاهليتهم نظام خاص للجند فكل رجال القبيلة مدعوون للقتال مشاة أو فرسانا إذا ما دعا الداعي حاملين السيوف والرماح والأقواس فإذا ما إنتهى القتال عادوا إلى مساكنهم وإنصرفوا إلى أعمالهم.

<sup>33</sup> حسين علي حسن المرجع السابق نفسه ص 157

<sup>34</sup> حسين علي حسن المرجع السابق نفسه بالتصرف 156

أما الدول التي تأسست في جزيرة العرب في اليمن والشام والعراق فقد كانت متقدمة حربيا وفيها نظم جنديّة.

في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مدعوا للجهاد في سبيل الله كلما نادى منادي الجهاد <<أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون >> [التوبة 9 / 41].

وجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجند فئة مخصوصة وأنشأهم ديوان الجند فسجل أسماءهم ومقدار أرزاقهم، وأكمل الأمويين مابدها عمر في نظام الجنديّة وأول من طبق التجنيد الإجباري على نطاق واسع " الحجاج بن يوسف الثقفي " زمن عبد الملك بن مروان ونما الجيش نموا كبيرا في زمن العباسيين واستعين بالأعاجم وخصوصا الخراسانيين وكان هؤلاء الجند يكونون الجيش النظامي للدولة تدفع لهم رواتب بانتظام ولكن عندما أساء الجند الذين جاءهم المعتصم مما وراء النهر بنى لهم عاصمة جديدة (سامراء) ثم أضحت السلطة بيدهم يولون خليفة

ويعزلون آخر ويقتلون ويحبسون وإهتم المرابطون بالقوة الإحتياطية التي ضمن صفوة الجند والتي كانت تزج في المعركة في الوقت المناسب لتحقيق النصر.<sup>37</sup>

**الجهاد:** بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة يدعو الناس بالحجة والموعظة الحسنة وقد أذاقته قريش وأذاقت المؤمنين هامة كل صنوف الأذى وصبر الله عز وجل نبيه <<واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم >> [الأحقاف 46 / 35]. فتخلى المسلمون في مكة المكرمة عن العنف وسلكوا طريق المسالمة لطراوة عود الإسلام الذي يحتاج إلى فرصة كي يشتد ويصلب ولأن الإسلام جعل التعامل الإنساني والكلمة الطيبة والمحبة والقناعة منها للروح الإيمانية ولدعوته ولكن عندما ضاعت الكلمة الطيبة وسط بحر زاهر من القوة المستكبرة للمشركين كانت المواجهة بعد الهجرة <<أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله >> [الحج 22 و40]

<<وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين >> [البقرة

[190 / 2

طرق القتال: كان نظام القتال عند العرب في الجاهلية (الكروالفر) فكلما كروا وتكسرت جماعتهم فروا ليجتمعوا ثانية يعاودوا الكرة.

وفي معركة بدر الكبرى فوجئت قريش بنظام الصف <<إن الله يحب الذين يقاتلون في

سبيله صفا في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص >> [الصف 61 / 4] وخاض خالد بن

الوليد معركة اليرموك بنظام الكراديين وقسم الجيش:

قلب فيه القيادة وميمنة ومسيرة ومقدمة وشاقة (مؤخرة) ومن هنا جاء إسم (الخميس) للجيش أي خمس قطع.

3-الأسطول:اهتم اليمينيون بالتجارة البحرية فوصلت سفنهم إلى بلدان جنوب شرقي آسيا وإلى

الشواطئ الشرقية للقارة الإفريقية ولا تهتم الأجزاء الأخرى من شبه جزيرة العرب في الجاهلية بالبحرية لبدأوتها.<sup>38</sup>

صناعة السفن العربية بعث عبد الملك بن مروان إلى عامله على إفريقية حسان بن النعمان يأمره باستثناء دار لصناعة السفن في تونس فكانت هذه أول (دارلصناعة) متخصصة في الإسلام وتابع الأمويين بناء دور الصناعة في شتى الأمصار العربية أهمها تلك التي أنشئت في جزيرة الروضة بمصر سنة 673م، 54 هجري واخرى في بيروت وثالثة في صور.

واهتم العباسيون بإنشاء دور الصناعة في أحواض المتوسط والمحيط الهندي وزاد إنتاج دور الصناعة القديمة في عهد الفاطميين وأنشئت دور جديدة في كل من القاهرة ودمياط والإسكندرية وطرابلس الغرب وسوسة.

كما تولى الأمويون في الأندلس إنشاء دور لصناعة السفن في كل من الموانئ التالية:

الجزيرة الخضراء،دانية،سبتة، فقوي الأسطول الأندلسي بشكل ملحوظ وخصوصا في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر حيث قارب عدد سفنه مئتي سفينة وأشهر قادة الأسطول الأندلسي

أيام الموحدين "أحمد الصقلي" الذي إنتهت أساطيل المسلمين في أيامه ما لم تبلغه قبله ولا بعده وذلك بتوجيه من السلطان يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي.

وأنشأ صلاح الدين الأيوبي اسطولا لمحاربة الصليبيين وخصص له ديوانا كبيرا عرف بإسم (ديوان الأسطول) وإيام الظاهر بيبرس أشرف بنفسه في جزيرة الروضة على صناعة قطع الأسطول.

ولقد صنع العرب المسلمون سفنا خاصة بالعمل في البحر المتوسط اتصفت بضخامتها صنعت من خشب الأرز الذي حمل إلى دور الصناعة من جبال لبنان أو من الأناضول واعتمدت هذه السفن المسامير في تثبيت ألواحها.

كما صنعوا سفنا خاصة بالعمل في البحر الأحمر (بحر القلزم) والمحيط الهندي وهي أقل حجما من السفن العاملة في البحر المتوسط استقدم خشبها من صعيد مصر اعتمدت الغراء في تثبيت ألواحها وقطعت أشجار من عمان وجبال فارس لصناعة السفن العاملة في المحيط الهندي<sup>35</sup>

### 3- الأسس الإقتصادية:

**التجارة:** واما في مجال التجارة فقد اشتغل بها العرب قبل الإسلام تجارا ووسطاء وخفراء وكانت علاقاتهم التجارية قائمة مع البلاد المجاورة القريبة والبعيدة ومما يشير إلى العلاقات التجارية بين البلاد المختلفة كتاب عتبة بن غزوان إلى عمر بن الخطاب بشأن فتح الابله عام 14 هجري وقد كان لمنافع التجارة الملموسة أن أقبل العرب عليها واشتغلوا بها مكيين ويمنيين وهجريين وبحرانيين وغيرهم ويقول د.جواد علي عن اشتغال العرب بالتجارة ظن الناس أن مكة قبل الإسلام كانت أرض التجارة والتجار وقبلة جميع العرب ومجمع أصنام كل العرب وموضع تكديس الأموال وبلد الربا والمرابين وهو استنتاج أخذ من الروايات التي قصها أهل الأخبار عنها دون نقد ولا تحليل ولكننا لو إستعرضنا ماذكره أهل الأخبار أنفسهم عن هجر والبحرين وبقية العربية الشرقية فإنه يرينا على قلته إن مدن وقرى هذا الجزء من جزيرة العرب لم تكن

35 حسين علي حسن علي حسن المرجع السابق نفسه بالتصرف 157

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

أقل درجة في المال والتجارة والإنتاج من مكة أو المدينة إن لم تكن قد تفوقت عليها بالفعل بدليل ما جاء في أخبارهم عن مقدار الزكاة والصدقات التي أرسلها عمال الرسول والخلفاء إلى المدينة فإنها تدل على وجود تجارة وأعمال في هذه الأرضين ربما كانت فاقت أرباح وأعمال أهل مكة وتحدثت آيات القرآن عن التجارة كثيرا وضربت بها الأمثلة قال تعالى <<يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم >> [الصف 10]

وقال تعالى <<وإذا رأوا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون >> [سورة الجمعة 9] وقال تعالى <<وإذا رأوا تجارة أو لهوا إنفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين >> [الجمعة 11]

وقال تعالى <<ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون >> [المطففين 13]<sup>40</sup>

محمد ضيف الإبطانية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية الجزء الثاني " الحياة الإقتصادية في صدر الإسلام دار الفرقان ب.ط.ب.م.ن،

1987 ص 40

- الزكاة : الزكاة من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإنساني وينتظم بها اقتصاده فهي من العوامل التي تقلل الفوراق بين الناس في خطوط الدنيا وتظهر نفوس الأغنياء من الشح والبخل وفيها تتجلى مواساة الأغنياء لآخوانهم الفقراء وسد خلتهم كما أنها تدفع عن الأغنياء عواقب الحقد عليهم من نفوس الفقراء فتسود المحبة وتقوى أوامرا الألفة والتعاطف والتراحم بينهما ومن جعلها الإسلام أحد الأركان التي يقوم عليها بنيانه وحث عليها القرآن في كثير من آياته ورغب فيها وقرنها بالصلاة لأن الصلاة صلة العبد بربه وفيها إصلاح للنفوس والزكاة صلة بين الأغنياء والفقراء وفيها إصلاح لشؤون المجتمع قال تعالى <<واقموا الصلاة وأتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم

أجرا >> [ المزمّل 20 ] وقال عز وجل <<وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا

عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون >> [ الروم 39 ]

وقال صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تكشف عن كثير من نواحي الإقتصاد التي يسعد بها المجتمع.

**3 - تحريم الربا:** الربا فيه من المفسد والأضرار بالمجتمع الإنساني من نواحيه الإقتصادية والإجتماعية مالمسنا في حاجة هنا إلى الاسهاب فيها فهو يتنافى مع الأخلاق الكريمة التي يجب أن تسود كل مجتمع

فاضل من المروءة والتعاون والتعاطف والتراحم ويورث أفراد المجتمع الحقد والبغضاء ويؤدي إلى حصول أصحاب الأموال على كسب دون عمل فإنهم يستغلون حاجة المحتاج وينصرفون عن الأعمال المشروعة لكسب الحلال ويخلدون إلى الراحة والكسل ويؤثرون التعامل بالربا مع الراحة الجسمية عن الاشتغال بالزراعة أو الصناعة أو التجارة أو غيرها مما يحتاج إلى تعب وعناء فتتعطل ايد كثيرة من الأيدي التي يجب أن تعمل كما أنه يوجد هوة عميقة بين طبقات الأمة بتحويل مجرى الثورة إلى جهة واحدة هي جهة <sup>36</sup> أصحاب الأموال ومحاباة رأس المال والانحياز معه على حساب العاملين الكادحين وفي هذا يقول القرآن <<كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم >> [ الحشر 7 ] ويقول الله تعالى : <<يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة >> [ آل عمران 130 ]

[ ويقول سبحانه: <<يمحق الله الربا ويربي الصدقات >> .

**4- الميراث:** شرع الإسلام للميراث نظاما حكيما يقتضي بتقسيم تركة المتوفي بين عدد من أفراد

أسرته ليحول بذلك دون تضخم الثورات وتجمعها في أيد قليلة فأين من هذا النظام الإسلامي

<sup>36</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 47

الحكيم تلك النظم التي يقضى بعضها بانتقال جميع ثروة المتوفى إلى ابنه الأكبر أو يدع بعضها المالك حراً أن يوصى بتركه لمن يشاء فتجتمع من جراء ذلك ثروات ضخمة في أيدي نفر قليل من الناس مما يثير حفيظة المجتمعات التي تخضع لهذه النظم ويسبب إنتشار المذاهب المتطرفة.

**5- قانون من أين لك هذا:** هو قانون اقتصادي عظيم ومبدأ خلقي جليل وأصل إسلامي صميم طبقه النبي صلى الله عليه وسلم على بعض عماله على الصدقات حين رأى أنه استغل عمله لجمع مال لنفسه فأخذه منه

فعين أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اللثبية على صدقات بني سليم فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحاسبه قال : هذا الذي لكم وهذه هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا جلست في بيت أبيك وبيت امك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : << أما بعد فإنني أستعمل رجلاً منكم على أمور مما ولاني الله فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم وهذه هدية أهديت لي فهلا جلس في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتية هديته إن كان صادقاً فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئاً بغير حقه إلا جاء الله يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه إلى السماء <sup>37</sup> حتى روي بياض إبطينه وهو يقول: ألا هل بلغت >>

**4- النقود:** كذلك لم يفت الإسلام أن يعنى بأمر النقود لأثرها الهام في معاملات الناس بعضهم مع بعض فنرى أنه قد عنى بضبطها وتحديد قيمتها حتى لا يكون هناك سبيل إلى التلاعب

<sup>37</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 48

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

بها والفوضى في تداولها روى البلاذري أن دراهم الأعاجم كانت مالعشرة منها وزن عشرة مثاقيل ومالعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فجمع ذلك فوجد إحدى وعشرين مثقالاً فأخذ ثلثه وهو سبعة مثاقيل فضربوا دراهم وزن سبعة مثاقيل.

هذا إلى أن مورد بيت المال ومصارفه كانت عادلة وثابتة محددة لا إبهام فيها.

أضف إلى ذلك أن الإسلام أتى بمبادئ إقتصادية عامة لها أثرها في الإقتصاد كقوله تعالى

<<ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا

>> [الإسراء 29] وقوله تعالى <<ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين >> [الأنعام 141] وفي

الحديث

والقصد القصد هو تبلغو رأي عليكم بالقصد من الأمور إلى أمثال ذلك من الآثار التي تحت

على المتوسط والاعتدال كما هو شأن الإسلام في دعاياته.<sup>38</sup>

### 4- الأسس الاجتماعية والأدبية:

إتصف الايطار العام للمجتمع الجديد في صدر الإسلام بالحرص الشديد على التمسك بتعاليم الدين فاتسم ذلك المجتمع حتي نهاية عهد الخلفاء الراشدين بالبساطة المطلقة التي هي أقرب إلى الزهد والمواساة بين المسلمين جميعا بحيث لم توجد فجوة بين حاكم و محكوم ولا بين قوي ولا بين عربي واعجمي والمقياس الوحيد لتفضيل مسلم على آخر هو مقياس التقوى بمعناها الكبير الواسع كذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم عقب الهجرة مباشرة على رسم الخطوط العريضة للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين وبخاصة أهل الذمة من اليهود والنصارى وذلك وفقا لأحكام الله وما جاء في كتابه المبين.

ومن أبرز المؤسسات والمنشآت الإجتماعية التي حفل بها المجتمع الإسلامي تلك الخاصة

برعاية الأيتام ذلك أن الدين الإسلامي عنى عناية خاصة بأمر اليتيم فأمر بعدم قهره<sup>39</sup>

<sup>38</sup> أبو زيد شلبي، المرجع السابق نفسه، بالتصرف، ص 50

<sup>39</sup> سمير عبد الفتاح عاشور وآخرون دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية دار المعرفة الجامعية ب.ط القاهرة 1996 ص 252251



والإحسان إليه والحفاظ على أمواله ورعايته وقد جاء في نكر أخبار أصفهان أن أحد الصالحين كان يذهب بالأيتام يوم الجمعة إلى منزله ويدهن رؤوسهم وهكذا حتى انتشر نظام الوقف في الدولة الإسلامية فحرص كثير من الخيرين على وقف الأوقاف على الأيتام وتعليمهم وكسوتهم من ذلك مانصت عليه وثيقة من حجج الأوقاف التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بالقاهرة من أن << يكسي كل من الأيتام المذكورين في فصل الصيف قميصا ولباسا وقبعا ونعلا في رجليه وفي الشتاء مثل ذلك ويزداد في الشتاء جبة محشوة بالقطن.

وتجلت العناية بالأيتام في المجتمع الإسلامي بإنشاء مكاتب لتعليمهم ورعايتهم ذلك أنه إذا كانت عملية التعليم في صدر الإسلام قد ارتبطت بالمساجد فإن تعليم الصغار والصبيان داخل المساجد كان أمرا مكروها لم يستسغه الفقهاء وقد جاء في كتب الحسبة أنه << لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق كذلك روي أن الإمام مالك سئل عن تعليم الصبيان في المسجد فقال << لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يحتفظون من النجاسة ( ابن الأخوة: معالم القربة في طلب الحسبة ) .<sup>40</sup>

**الناحية الأدبية والعلمية:** كان العرب أفصح الناس لسانا وأبينهم بيانا لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم وأن البلاغة ملك قيادتهم فلما جاء القرآن وهو كتاب أحكمت آياته وفصلت كلماته بهرهم وإستثار إعجابهم.

**يقول القاضي "عياض":**

إنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لا يخصاه غيرهم من الأمم وأتوا من ذرابة اللسان مالم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب مايقيد الألباب.<sup>41</sup>

<sup>40</sup>سمير عبد الفتاح عاشور وآخرون، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 282

<sup>41</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص52

فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول.

وانت إذا تأملت قوله تعالى <<ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب >> [البقرة179] وقوله تعالى <<ولو ترى إذ فرعوا فلا قوت وأخذوا من مكان قريب >> [سبا 51] وقوله تعالى <<دفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم >> [فصلت 54]

سمع العرب بالقرآن وحفظوه وأدركوا أهدافه ومراميه فاندفعوا إلى الإستفادة من أسلوبه وشاعت ألفاظه وطرائقه في قبائلهم ومنتدياتهم وظهر أثره في خطبهم ورسائلهم وإنصرفوا عن الإفتخار بالأسباب والتناذب بالألقاب والغزل في النساء ووصف الجمل والصحراء وما إلى ذلك من ميادين كلامهم إلى التحريض على الحرب والجهاد ونشر الدعوة وهداية الناس إلى الإسلام. وعرفوا كيف يكتبون العهود والمواثيق مع غيرهم وأن يتخيروا لها من العبارات ما يحقق غايتهم عرفوا مواقع الكلام وأن لكل مقام مقال فكانت كلماتهم تفعل في النفوس ما لا تفعله السيوف.<sup>42</sup>

### 5-الفنون :

#### 1 - الزخرفة في الفنون الإسلامية:

التجميل: تشترك فيها التقاليد الفنية في الحضارات كافة وبذلك تكون وظيفة عامة في الإبداع الجمالي تلك هي إستخدام الزخرفة للتجميل والتحسين ويمكن القول أن الزخرفة الإسلامية تقوم بهذه الوظيفة بنجاح كبير لأن الأنساق التي تبدعها في القطعة المزخرفة نفسها تنطوي على ما يبهج النظر وهذه الحقيقة التي تقوم على تناظر الأنساق وألوانها المفرحة وأشكالها الرشيقة المتنوعة كانت موضع إعجاب المسلمين أنفسهم فالزخرفة<sup>43</sup> الموجودة على هذه

<sup>42</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف 53

إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع السابق نفسه<sup>43</sup>

الأعمال الفنية تعبر عن بعد إضافي من الجمال عند المتلقي المسلم لأنه أية صورة أو شيء أو عبارة أو حركة أو خط أو أحداث تعبر عن التوحيد هي عند المسلم تعبير عن حقيقة وخير لذا فهي من باب أولى تعبير عن الجمال لقد أدرك وحدة الفن الإسلامي كثير من الباحثين ومع ذلك فإن تفصيلات أمثلة تلك الوحدة نادرا ما يشار إليها . ولم يكن الباحثون أقل إدراكا للتنوع في الفنون الإسلامية فقد كان هذا التنوع يعزى في العادة إلى أثر الفروق في الأعراف والأجناس والأقاليم وعلى الرغم من الإعتراف بوجود هذه العناصر

من التنوع داخل الوحدة الشاملة فإنها قلما نالت ماتستحقه من الإشارة أو التحليل من أجل فهم أفضل فقد كان ثمة << شعور >> بوجود توكيد إقليمي أو تفرد مع قليل من الرغبة في فهم طبيعته وسوف نحاول هنا وصف عناصر التنوع هذه التي تميز استخدام الزخرفة في مختلف أجزاء العالم الإسلامي من دون إهمال الخصائص المتعددة التي تضفي استمرارا شاملا على الزخرفة في الفنون الإسلامية.

ثمة القليل في ميدان أساليب الزخرفة مما يميز منطقة عن أخرى فالحفر والرسم والحياسة والتسلب والنقش أو والزخرف الناتئ والتجليد والطلاء بالمينا والتحريم ونفخ الزجاج والقولبة توجد في كل منطقة من المناطق ويستحيل تقديم دليل على تفرد أية منطقة بواحد من هذه الأساليب والواقع أن هذا التطابق في الأساليب في المناطق المختلفة يشكل أحد مظاهر الوحدة في الفن الإسلامي .<sup>44</sup>

### 2- قرطبة ومساجدها:

يحمل مسجد قرطبة تفاصيل تاريخ المدينة بوضوح شديد وتتحدث المصادر العربية عن المسجد وكأنه الرمز الرئيسي للإسلام في المغرب الإسلامي إلى جانب مسجد القيروان الذي أعلنت الحوليات العربية من شأنه رغم الاختلاف الأسلوبي بين المسجدين يقع مسجد قرطبة المدينة

...<sup>44</sup> محمد ضيف الإبطانية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية الجزء الثاني ب.ط 87

القوطية (مثله في هذا مثل مسجد القيروان) حيث كانت هناك كنيسة سان بيثنتي وربما كانت كاتدرائية أو ديرا أو شيئا من هذا القبيل وخلال العصور العربية الأولى 50

كان المسجد الجديد يقام تزامنا مع القصر و يقع إلى جواره ومعنى هذا أن كلا المبنىين هما في مركز المدينة ويقر بعض كتاب الحوليات العربية (النويري) ببناء سور أو إطار مسور للمدينة في عصر عبد الرحمان الداخل عام 766 م قبل عشرين سنة من قيامه ببناء المسجد الجامع الأمر الذي نقبل به نظرا لوجود الجزء المسور الكائن في الضلع الجنوبي للمدينة إستنادا إلى نتائج الحفائر التي قام بها " مونتيخو " " جاريجيت " ماتا ويمتد هذا السور موازيا لنهر الوادي الكبير ولحائط القبلة المسجد في وضعه الحالي وفي هذا الاتجاه نحو الجنوب سنجد المسجد وقد بدأ يتسع بينما تظل المدينة حية ونابضة في الإتجاه المعاكس.

### توسعات المسجد:

لم توضح المصادر العربية بجلاء التاريخ الذي بدأ فيه الأمير عبد الرحمن الثاني توسعة المسجد فربما كان عام 833م بناء على رأي ليفي بروفنسل حتى 848 م حيث أقيمت أول صلاة جمعة في المحراب الجديد جرى مد كافة الأروقة للمصلى القديم صوب الجنوب لمسافة 24م الأمر الذي جعل من المحتم هدم حائط القبلة والمحراب ومن الواضح أن الأعمال جرت تحت إشراف كل من نصر ومسور لم تكن الأعمال قد إنتهت عند وفاة عبد الرحمان الثاني فقام ابنه وخليفته محمد الأول بإنجاز ماتم ( 852 - 886 ) ونظري أن هذا العاهل الأخير قام بترميم أو تقوية باقي أجزاء الحرم الذي شيد خلال القرن الثامن ثم أضاف أو زخرف سان استبان في الحائط الغربي المرتبط بهذا القطاع وهذا ما نراه في نقش كتابي لوحة عقد الباب وكذا التاريخ 855م وإلى محمد الأول ترجع فكرة نفذت لأول مرة في قرطبة وهي عبارة عن فراغ مواز لحائط القبلة مخصص للأمير أو ما أطلق عليه بالمقصورة حيث

تدلف إليه الحاشية عبر بوابة توجد فيالحائط الغربي وهو الباب المرتبط بالدهليز الجسر المسمى بالسباط (886-912م) وهو الباب الذي يطلق عليه "سان ميغل" <sup>45</sup>

### - الغناء والطرب في الأندلس في عصر الدولة الأموية:

في عصر الإمارة: إعتد أمراء بني أمية في الأندلس في فنون الغناء والموسيقى على مدرسة المدينة فكانوا يجلبون القيان المجيدات لفنون الغناء والطرب على العود من للمدينة التي كانت مركزا هاما لهذه الفنون بفضل إنتاج المغنين من الفرس والروم إليها في أعقاب حركة الفتوح وأصبحوا موالى للعرب وغنوا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وظهر منهم في المدينة نشيط الفارس وطويس وسائب جائر وعنهم أخذ معبد وطبقته وابن سريج ونظرائه ففي الفترة من قيام الدولة الأموية على يد عبد الرحمان بن معاوية المعروف بالداخل سنة 138 هجري إلى بداية عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط في سنة ( 206 هجري ) كان جل من وفد إلى الأندلس من المغنيين والمطربين المشاركة ينتمون إلى مدرسة المدينة فكانت لعبد الرحمن الداخل قينة مدينة تسمى غفرة كانت تغنى على العود كما أبتيعت له جارية بارعة في فن الغناء تسمى العجفاء حملت إليه من المدينة ومن الداخلات في الأندلس من المغنيات المدنيات فضل المدينة. قلم المدينة حيث الأخيرة كانت أندلسية الأصل من سبي البشكنس حملت صبية إلى المدينة حيث تعلمت الغناء وحذقته وابتيعت إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي خصص لهن ولأخريات مدنيات دارا عرفت المدنيات بقصر الإمارة بقرطبة وكان يؤثرهن لجودة غنائهن.

### في عصر الخلافة:

<sup>45</sup>باسيليو بابون مالدونو نادو، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 13

## الفصل الأول أسس الحضارة في العالم الإسلامي

في عصر الخلافة إزدهر فن الغناء والموسيقى في الأندلس في عصر الخلافة فعبد الرحمان الناصر رغم المشكلات السياسية التي كان يعانها في مستهل توليه الإمارة إلى أن تلقب بألقاب

الخلافة ثم إشتغاله بمواجهة الفاطميين الذين كانوا يتهددون الأندلس بغاراتهم على سواحله الجنوبية ورغم إشتغاله في أوقات السلم بالبناء والتعمير كان يختلس من وقته ما يتيح له إمتناع نفسه بسماع بعض المغنيات من جواريه فكان بطبعه ميالا لسماع الغناء مهتما رغم اعبائه الثقيلة في الداخل والخارج بإجتلاب عدد من المغنيات من المشرق بدليل أنه سير في سنة 344هجري سفينة إلى الإسكندرية عادت مشحونة بعدد من الجواري.<sup>52</sup>

**المطلب الثالث: صور من تطبيقات المسلمين لها:**

**1- الرياضيات والفلك:** ثبت لدى الباحثين أن العلوم الرياضية ميدان إشتركت فيه القرائح المختلفة من مختلف الأمم والشعوب ولم يكن الإبتكار والإنتاج التراكمي فيها منحصرًا في أمة من الأمم فقد كان للبابليين والمصريين والإغريق والهنود والعرب وغيرهم من الشعوب ثم المسلمين انصبه من الإبتكار والإنتاج فيها. ومساهمات في إنشائها وتنميتها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه حين بدأت النهضة الغربية في أوروبا.

وثبت لدى الباحثين أن أقدم الآثار الرياضية قد وصلت إلينا من بابل ومن مصر وقد إنتقلت هذه الآثار إلى الإغريق فأخذوها وزادوا عليها وثبت أن بعض النظريات والبحوث التي كانت تنسب إلى اليونان هي من وضع علماء بابل ومصر.

وبالتفكر يظهر لنا أن عوامل نشوء ونمو العلوم الرياضية وإرتقائها قبل النهضة الغربية متعددة فمنها ما يلي:

إرتباط كثير من مصالح الإنسان ومنافعه الدنيوية الحياتية ومعاملاته المالية وأعماله العمرانية بالرياضيات << الحساب والهندسة

رغبة كثير من أهل النظر الفكري العميق في البحث عن المجهول للوصول إلى المعرفة وكشف الحقيقة والاستمتاع بلذة العلم قبل إستغلال ماتم كشفه في المنافع المادية الحياتية وتركيب الآلات وإنشاء المصانع.

رغبة المفكرين الموهوبين من أهل الإيمان في التعرف على سنن الله في كونه وما يسيطر عليه من أنظمة وقوانين حكيمة لتقديمها أدلة وشواهد على وجود الرب الخالق المبدع الحكيم وعلى ماتدل عليه من صفات.<sup>46</sup>

### - الطب والصيدلة:

لم يكن المسلمون في ميادين الطب والصيدلة مجرد نقله ومقلدين متبعين لمن سبقهم من الأمم في هذا المجال بل ترجموا ونقلوا وجربوا وهذبوا وابتكروا واقاموا معارفهم في هذه الميادين على التجربة والاختيار والملاحظة والتعليل والتفسير وإعادة التجربة ودراسة مختلف الاحتمالات وملاحظة النتائج بغية الوصول الى الأحسن فالاحسن تأثيرا ونفعا وجمالا.

ونقح العلماء المسلمين نظريات وآراء من سبقهم في الطب والعلاجات وأضافوا إليها كثيرا من إكتشافاتهم وكانت زياداتهم مبنية على المنهج التجريبي العلمي وملاحظة النتائج ولم يتوقفوا عند التعليلات والتفسيرات الفلسفية التي أبدعت في الفكر اليوناني عند إتباع المنهج التجريبي فجعلته يتتبع أوهاما كثيرة لا أساس لها من الصحة.

واعتبر المسلمون الطب رسالة مقدسة يجب أن تكون بعيدة عن الهوى والمطامع والرغبة وتحصيل الارباح والثروات.

نقل الطبيب المسلم << داود عمر الأنطاكي (1008هجري) في أوائل كتابه >> تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب >> في الطب عن بعض شارحي العهد الذي كان يأخذه " ابوقراط وهو طبيب يوناني أكبر الأطباء الأقدمين واشهرهم نحو (460-377 ق م) كان قد وضع قسما يؤخذ على الطبيب إذا أراد أن يزاول مهنة الطب بعد أن يؤذن له بمزاولتها<sup>47</sup>

<sup>46</sup> عبد الرحمن حبنكة الميداني المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 556

<sup>47</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 561





## الفصل الثاني: أسس الحضارة عند مالك بن نبي

المبحث الأول: حياة مالك بن نبي ومصنفاته

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لفكر مالك بن نبي

المبحث الثالث: أسس الحضارة عند مالك بن نبي

### الفصل الثاني: أسس الحضارة عند مالك بن نبي

**تمهيد:** يعتبر مالك بن نبي ومدرسته من أكثر المدارس الفكرية التي كان لها أثر واضح في تحديد وصنع ملامح الفكر الإسلامي الحديث خاصة أن هذه المدرسة اهتمت أكثر من غيرها من المدارس الأخرى بدراسة مشكلات الأمة الإسلامية انطلاقاً من رؤية حضارية شاملة ومتكاملة فقد كانت جهوده لبناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموماً متميزة سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو المناهج التي اعتمدها.

### المبحث الأول: حياة مالك بن نبي ومصنفاته

#### المطلب الأول

-**حياته مالك بن نبي:** كان مولدي في الجزائر عام 1905 م أي في زمن كان يمكن فيه الإتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حياً من شهوده والإطّلال على المستقبل عبر الأوائل من رواه.<sup>48</sup>

هو مالك بن عمر بن الحضر بن مصطفى بن نبي المولود في مدينة تبسة في يناير 1905 كان من أسرة محافظة ومتدينة فقيرة كان يعيش في تبسة دون مورد يعيش منه ودون عمل لذلك إنتقل مالك ليعيش في قسنطينة ولم يعد لوالديه إلا بعد وفاة عمه تأثر الطفل مالك بحكايات جدته لأمه عن العمل الصالح وثوابه وشكلت هاته الأقاويص تكويناً مبكراً لوعيه ووجدانه وصياغة لحياته الأولى الدينية في نفسه حكايات جدته والعجائز من حوله عن بدايات الإستعمار الفرنسي للجزائر والفضائع التي ارتكبتها الفرنسيون في هذا البلد المسلم أيضاً ورأى عن هجرة الكثير من العائلات فرسخ ذلك في نفسه ضرورة مقاومة المستعمر حتى ولو كانت هذه المقاومة سلبية أي تعني اعتزال نمط حياته كما رأى ما أحدثه الإستعمار من تغيير لنمط

<sup>48</sup>مالك بن نبي مذكرات شاهد على القرن دار الفكر (دمشق) الطبعة الثانية سوريا 1984 ص 15

حياة الجزائريين وقيمهم حيث اشاع ذلك التغيير الرذائل الخلقية وتأثر مالك أيضا بأمه التي كانت تعمل بالخياطة...<sup>49</sup>.

نفسها لتسد حاجيات البيت ولاحظ أنها كانت دائما تمسك بكيس النقود الذي كان فارغا دائما ورغم ذلك كانت حريصة على تعليم ابنها حتى أنها اضطرت أن تدفع إلى معلم ابنها سريرها التي تنام عليه بدلا من المال، قضى مالك في تبسة معظم أيام طفولته وكانت المدينة أقرب إلى البداوة وحضور فرنسي ضعيف والتحق بمدرسة فرنسية مع إستمرار تلقى دروس المساجد وتأثر بصديق له كان يمتلك قدرة كبيرة في في الاستشهاد بالآيات القرآنية ويضفي على تفسيرها بعدا اجتماعيا كما شهد في تبسة أيضا لجوء الجزائريين إلى الإعتصام بالإسلام وتعلم العربية حتى لا تذهب هويتهم في هوية المستعمر الفرنسي

تأثر بأفكار عبد الحميد بن باديس الإصلاحية وبما كان ينشر في بعض الصحف المحلية مثل ( الشهاب والإقدام والإنسانية ) بعد انتهائه من دراسته الثانوية عام 1925م سافر مع صديق له إلى فرنسا للبحث عن عمل إلا أنهما لم يحظيا بعمل مناسب فعادا أدرجهما إلى الجزائر وفي عام 1930م عاد ثانية إلى فرنسا وحاول الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية لكنه لم يوفق في ذلك لأن الدخول إليه لا يخضع لمقياس علمي كما يقول وإنما لمقياس سياسي لهذا دخل مدرسة اللاسلكي ولكنه سرعان ماتحول عنها لمدرسة الكهرباء والميكانيك إستجابة لنصيحة أحد أساتذته ولاستعداداته النظرية التي يمتلكها وفي عام

1935م أتم دراسته في الكهرباء والميكانيك إلا أنه لم يتمكن من إجراء الإمتحان التطبيقي الضروري لتخرجه مهندسا وباءت محاولاته جميعا بالاختفاق بسبب إعتذار المؤسسات والمصانع التي يمكن تطبيق فيها عن قبوله لنشاطه في مقاومة الإستعمار وكان قبل تخرجه في سنة 1931م قد تزوج من شابة فرنسية أسلمت على يديه واسمت نفسها خديجة وهيئت له أسباب الراحة وساعدته على مواصلة دراسته وفي فترة إقامته في فرنسا حاول مزاوله بعض الأعمال

إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي المرجع<sup>49</sup>

إلا أنه لم يوفق فيها بسبب محاربة الفرنسيين لأبناء مستعمراتهم ولهذا عاد إلى تبسة ولكن سبل العيش ضاقت به من جديد وقرر الهجرة مرة أخرى إلى فرنسا سنة 1939م وبقي فيها إلى عام 1956م ثم منها إلى مصر حيث بدأت مرحلة جديدة في حياته فقد حظي بإحترام كبير وتم تعيينه

مستشارا في المؤتمر الإسلامي الذي أصبح يطلق عليه فيما بعد إسم " مجمع البحوث الإسلامية " وتعد فترة وجوده في مصر من أغنى مراحل عطائه الفكري إذ ألف فيها عددا من الكتب منها (فكرة الإفريقية الآسيوية عام 1956م) إضافة إلى ترجمت بعضها الآخر من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وبرز في الحياة الفكرية ليس في مصر فحسب بل في العالم الإسلامي أيضا وفي أثناء إقامته في مصر

تزوج بسيدة جزائرية ثم عاد إلى الوطن عام 1963م فعين مديرا للتعليم العالي الذي كان محصورا بجامعة الجزائر المركزية حتى استقال عام 1967م ليتفرغ للعمل الفكري والإصلاح وهكذا قضى ما بقى من سنوات عمره إلى أن توفاه الله في الجزائر في 31 أكتوبر عام 1973م وقف مالك بن نبي حياته للإصلاح وعمل في ميدان الفكر ولم يعمل في مجال إختصاصه مهندسا كهربائيا لأن شعوره بالخطر الإستعماري والمعاناة التي عاشها مع شعب الجزائر جعلته يجيب عن كل من يسأله ويقول بلدي بحاجة إلى مفكر أكثر من حاجته إلى مهندس يتميز بمؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته وواقعيته وقوة الأسلوب في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها إستطاع واستطاع بأسلوبه المتفرد وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية أن يوجه إليه أنظار جيل من الشباب يتوق إلى الإصلاح مع إحتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير وهو يطرح الإسلام ملهما القيم وقادرا على إستعادة دور الإنسان مبرأة من ثقل الحضارة الإمبراطورية كما أنه يرى أن الإسلام لا يقدم للعالم كتابا وإنما واقعا اجتماعيا يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية من مقولاته <<إنه من الصعب أن يسمع شعب ثرثار الصوت الصامت لخطى الوقت الهارب >>.

طالع مالك بن نبي في ذلك الوقت كتابين كان لهما الأثر الأبلغ في حياته هما (الإفلاس المعنوي هل هو للسياسة الغربية في الشرق لأحمد محرم الشاعر الإسلامي المعروف صاحب الالباذة الإسلامية وطالع كتاب رسالة التوحيد للإمام محمد عبده وساعده هاذان الكتابان على رؤية أوضاع العالم الإسلامي في تلك الفترة كما قرأ كتاب أم القرى للكواكبي وقرأ عدد من الكتب الفرنسية.

المطلب الثاني: مصنفات مالك بن نبي.

1- بين الرشاد والنتيه: وهو كتاب ضم مقالات كتبها الأستاذ مالك ونشر معظمها في جريدة الثورة الإفريقية.

2- وجهة العالم الإسلامي: يؤكد الأستاذ محمد المبارك في مقدمته للكتاب أن مالكا يبحث المشكلات المشتركة للعالم الإسلامي بمجموعه فيستعرض تاريخها منذ ظهور الإسلام والمراحل التي مرت بها.

تأملات: وفيه يعالج الظواهر المرضية التي إنتضمت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.

2- شروط النهضة: يبين فيه مالك أهم شروط الحضارة ويركز على الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية كمركب من عناصر التاريخ وكحقيقة يؤيدها تاريخ الحضارات.

2- ميلاد مجتمع: هذه الدراسة تشمل في الواقع بمقتضى هذا العنوان وبصورة منهجية المفاهيم النظرية التي ترجع إليها العناصر التاريخية الخاصة ب « ميلاد مجتمع ».

2- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: ويرى مالك بن نبي أنه لا يقدم في هذا الكتاب دراسة لمشكلة الفكر في العالم الإسلامي بل على العكس إنه يحاول الإكتفاء بإلقاء الضوء على معالمها وتركيبها الخاص<sup>50</sup>.

2-أفاق جزائرية وهو مكون من ثلاث محاضرات يجمع بينها انها ألقيت جميعها في الجزائر

وهذه المحاضرات هي : ( على التوالي مشكلة الحضارة ومشكلة الثقافة ومشكلة المفهومية.

8المسلم في عالم الإقتصاد: يرى مالك أن المختصين بالاقتصاد يوجهون العتاب أو اللوم إلى

الفقهاء ويرمونهم أحيانا بالجهود ويجب أن ننزه فقهاءنا عن هذا العقاب ونقول << إنه ليس

## 2-مراحل

من إختصاصهم أن يدلوا على الحلول الإقتصادية سواء مستتبطة من القرآن والسنة أو غير

ذلك. 51

2-مذكرات شاهد على القرن: ويتكون من جزئين الجزء الأول بعنوان « الطفل » وقد ترجمه

مروان القنوتاي والجزء الثاني بعنوان الطالب وقد ترجمه مالك بنفسه في رمضان

1389هجري.

2-الظاهرة القرآنية: وفيه يدرس مالك تطور نظرتنا إلى قضيته الإعجاز القرآني ليضع للشباب

ظوابط تمسك في نفسه عروة العقيدة. 52

51سليمان الخطيب فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ( دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر) المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع الطبعة الأولى لبنان 1993.

52سليمان الخطيب المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 16 إلى 21

المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لفكر مالك بن نبي

المطلب الأول: الخلفية التاريخية لفكر مالك بن نبي

لم تكن أفكاره قد إلتقت بعد مع وضعي الجديد منذ نزلت في صبيحة يوم من شهر أيلول (سبتمبر) عام 1930م بمحطة ليون بباريس ولم تكن الأمور تقررت نهائيا في نفسي منذ فارقت قبل أسبوع أهلي وودعت الأقران بتبسة وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أنني لا أعود هذه المرة إلى الوراثة مثلما عدت المرة الأخيرة بعد النكسة التي أصابتنني مع رفيقي (قاواو) في صيف 1925م.<sup>53</sup>

أكمل مالك بن نبي دراسته في فرنسا حيث أراد الإلتحاق بمعهد العلوم الشرقية الذي تخرج منه كبار مفكري فرنسا وفلاسفتها غير أن المستشرق " ماسيليون " استبعده على الرغم من اجتياز مالك بن نبي لجميع إمتحانات الدخول بنجاح - فإلتحق مالك بن نبي بالجامعة ليتخرج مهندسا كهربائيا في سنة 1935م ولعل هذا الجانب العلمي في شخصية مالك بن نبي هو ما جعل من أعماله ونظرياته تشبه المعادلات الرياضية بعد هاته الفترة عاد بن نبي إلى الجزائر وقضى فترة مهمة في القاهرة في مصر وعمل خلال حياته في التعليم والسياسة وكان غزير الإنتاج ومن ثم تحول في آخر سنواته كليا عن العمل السياسي أو التربوي ليتفرغ للبحث الفكري والتأليف.

إهتم مالك بن نبي بمشكلات الحضارة والنهضة والثقافة والاستعمار ورصد معالم أزمة الحضارة الإسلامية بعد أن درس عنها خاصة أن عاصر وعاش فترة تحولات كبرى متسارعة أدت إثر الحربين العالميتين إلى تغير كبير في خريطة العالم سواء الجغرافية أو السياسية

<sup>53</sup>مالك بن نبي مذكرات شاهد على القرن بالتصرف ص 203



ورافق هاته الفترة على الصعيد المنطقة العربية أو الإسلامية بشكل خاص من إنحدار واستعمار مثال ذلك ( فلسطين ) إزاء هذا الواقع المزري وأمام الأسئلة الكبرى التي كانت تطرح في ذلك الزمن حول سبب التخلف الحاصل وسبب التراجع والتقهقر وظهرت عدة تفسيرات لهاته الظواهر منها ظهور تيار إسلامي أصولي كان يرى أن الخروج من هاته الأزمة وأن النهوض لن يكون إلا بالعودة إلى التجربة الإسلامية القديمة وإحياء مؤسسة الخلافة التأكيد على أهذاب الدين الصحيح وغيرها من هذه الطروحات مالك بن نبي رأى أن نظرتة تجاوز للواقع وتجزيء للمشكلة وعدم تقديم حلول تمثل خطوات عملية بل كان كل الطرح مجرد مجموعة من الشعارات والتنظير الفكري دون تقديم خطة وصول للهدف الذي تنادي به وبالمقابل ظهر تيار أو الرأي مناقض تماما عبر عنه المفكرين الحديثين الذين إعتبروا المشكلة تكمن في الدين وبالفكر الديني بالتحديد الذي تجاوز العصر وتخطته الحداثة وعلينا إذا أردنا النهوض والتقدم أن نقطع تماما مع هذا الماضي وأن نستلهم التجربة الغربية ونحاول أن نتبع خطاها فرفض مالك بن نبي هذا التوجه ويرى أن لكل أمة وشعب خصائصه التي يتسم بها لذلك فالحضارة لا تقلد ولا تستنتج ولا تشتري فضلا على أن مالك بن نبي اعتبر أن المشكلة ليست في الدين كما يزعم هؤلاء ولو كانت كذلك كيف قامت الحضارة العربية الإسلامية أصلا على الدين وعلى العقائد وكانت حضارة عظيمة ملأت الدنيا علما

فلمالك جانب نقدي في شخصيته هذا ما أبعد عنه الأصوليون ( المتدينون ) وكان تمسكه بالأصول وبالدين وبمرجعياته هو عامل أبعد عنه الحديثين والعلمانيين ثم انطلق مالك بن نبي نحو مشروعه الفكري الخاص الذي يتمحور حول مصطلح الحضارة فقد كان يرى أن المشكلة الحضارية والأزمة الحضارية والواقع الإسلامي ليست مشكلة خارجية بل هي مشكلة إسلامية داخلية أو بالأحرى كانت مشكلة الإنسان المسلم وعقل هذا الإنسان ويرى أن الخلل ليس في الدين أو العقيدة وإنما هو في ما أسماه بالفاعلية وأعاد جذر المشكلة إلى البدايات تكون الدولة

والهوية من إشكاليات وأزمات كبرى كان يتم التعامل معها بطريقة العلاج الموضوعي للنتائج وبالتالي تأجيل البحث في حقائق الأزمة ووضع الحلول النهائية التي تعالج أسبابها وبذلك تراكمت تلك الأزمات وتفرعت إلى مشكلات أكبر عملت على انحدار الحضارة الإسلامية شيئاً فشيئاً إلى نهاية وسقوط دولة الموحدين التي بسقوطها بدأت تتلاشى الشخصية الذاتية الإسلامية لتتوالى الانهيارات وينتقل مشعل الحضارة إلى الغرب ودخول العالم الإسلامي في أزمة مستمرة.

وبذلك يصنف مالك بن نبي الإنسان المسلم منذ نهاية القرن الـ12 إلى يومنا هذا يصفه بإنسان ما بعد الموحدين كدلالة تاريخية لما هذا الحدث من نقطة مفصلية في الأزمة الحضارية الإسلامية.

إعتبر مالك بن نبي أن المشكلة الحضارية الإسلامية هي مشكلة أفكار بالدرجة الأولى لأن أفكار هي التي تنتج الحضارة فهي في الجهة المقابلة تنتج التخلف أي التأزم في عالم الأفكار يعكس تأزم حضاري يظهر في الواقع العملي لذا فهناك يرى بأنه يجب أن نبحث في جذور الأفكار التي أدت إلى إنهيار الحضارة الإسلامية لأننا قبل أن نفكر في إعادة البناء علينا أن نعالج الأسس المتصدعة التي أدت إلى هدم ماكان قائماً.

وينطلق مالك من فكرة محورية وهي أن نهضة أي أمة أوأي مجتمع تتم في نفس الظروف التي شهدت ولادتها ما يقصده بن نبي أنه إذا أردنا إعادة بناء المجتمع الإسلامي والأمة من وراه علينا أن ننطلق من الفكرة الدينية وليس من التجربة التاريخية لكن بعقلية الزمن الحاضر لا بعقلية الماضي وبهذا يمكن بعث الحضارة من جديد إعادة إمكانية بقائها وهذا لن يحدث إلا إذا إلتزم المجتمع الإسلامي بالقانون الإنساني العام الذي وصفه الله لناس جميعا والمتمثل في قوله: << إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم >>.

ولذلك تعتبر هاته الآية تقطعه إرتكاز أساسية في مشروع مالك بن نبي الفكري.

فأهم مشكلات الحضارة العربية الإسلامية حسب بن نبي هي كالاتي:

- خلل في الحالة الفكرية والنفسية للفرد المسلم وللأمة بشكل عام فالإنسان المسلم مأزوم على الصعيدين الفكري والنفسي وهذا الإنسان يعيش على أمجاد الماضي ويستحضر عاطفياً أحداث وشخصيات تاريخية ليغطي بها عجزه فالعقل الإسلامي بعد عصر الموحدين هو عقل مجزئ مشئت وسطحي وليس عقلا مبدعا قادرا على صنع الحضارة والتاريخ أيضا نقص -في وعي الصراع الفكري والتحديات القائمة.

-عدم القدرة على إنتاج أفكار حية فأفكارنا مميتة قاتلة.

-الابتعاد عن الجانب العملي للرسالة الإسلامية والتوظيف السيء للعقيدة -

التكاسل والوهن الذي أصاب المجتمع والفرد الإسلامي.

-قابليتنا كشعوب إسلامية للإستعمار وهذا مفهوم لمالك بن نبي ( قابلية الإستعمار ) ويقصد به أن الخطر الحقيقي ليس في الإستعمار المباشر بل هو في قابلية الشعوب للإستعمار فالإنسان المسلم في العصر الحديث لم يكن ليستعمر ويستعبد لو لم يكن له الإستعداد للإستعمار لأن الشعوب العربية والإسلامية فقدت الكثير من الدوافع التي رفعت من شأنها في القرون الماضية ثم ظهرت جملة من الظروف ( تاريخية وإجتماعية و نفسية وفكرية سهلت للغزاة والمستعمرين السيطرة عليها وعلى مقدراتها ومن أهم هاته الظروف حسب مالك بن نبي: الإبتعاد عن جوهر العقيدة والدين وروح الرسالة الإسلامية في جانبها العملي والحياتي الذي يجعل المسلمين وحدة واحدة فبدل من هذا أصبح التعامل مع الدين ينحصر في بعده الطقوسي والايماي الفردي.

المبحث الثالث: أسس الحضارة عند مالك بن نبي.

المطلب الأول: فكرة الدورية عند مالك بن نبي وعبد الرحمن بن خلدون

وأما <مالك بن نبي> (1905-1973) فقد كان أبرز مفكر عربي معاصر عني بالفكر الحضاري منذ " ابن خلدون " ومع أنه قد تمثل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا، وإستلهم في أحيائهم كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين إلا أن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الكبير. <sup>54</sup>\*

كان ابن خلدون وحده هو أول من إستنبط فكرة (الدورة) في نظريته عن (الأجيال الثلاثة) إذ يختفي في عمق الفكرة خلف مصطلحات ضيقة ضحلة فقد رد نطاق الحضارة إلى حدود

العصبية الأسرية وعلى الرغم من ضيق هذه النظرة التي قد تعكس لنا عناصرالنفس الإسلامية آنذاك فإنها تدفعنا إلى تأكيد الجانب الإنتقالي في الحضارة أي أننا لا نرى فيها سوى تعاقب ظواهر عضوية لكل منها بالضرورة في مجالها المعين بداية ونهاية

55

نسبه: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون <sup>56</sup>

إبن خلدون كان يقول بحتمية إنتهاء الحضارات وزوالها إذا ما أتمت دورتها الحضارية هذه الدورة التي شبهها إبن خلدون "بدورة حياة الكائن الحي أي (الإنسان) أي هناك ولادة ومراهقة فشاباب فرجولة ثم كهولة شيخوخة فموت فإنحلال فإنتهاء هكذا هي الحضارات في دورة حياتها إلى زوالها الحتمي حسب ابن خلدون.

<sup>54</sup>سليمان الخطيب المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 45

<sup>55</sup>مالك بن نبي وجهة العالم الإسلامي ت: عبد الصبور الشاهين دار الفكر الطبعة الأولى سوريا 1986 ص28

<sup>56</sup> عبد الرحمن بن خلدون التعريف بابن خلدون ورحلته غبا وشرقا منشورات دار الكتاب اللبناني ب.ط 1979 ص3.

أما مالك بن نبي فقد إتفق إلى حد بعيد مع ابن خلدون في مراحل الدورة الحضارية لكن كان له تقسيم آخر ما بين روحي وعقلي وغرائزي إلا أن مالك ابن نبي وضع مكان حتمية الزوال عند ابن خلدون أمر آخر لأنه قال بالإرادة الحضارية للعودة ومكان حتمية الزوال هذه الإرادة عند (إبننبي) ماهي إلا الأفكار التي تبقى في العقول بعد إنعدام الصرح الحضاري وهذه الأفكار منها (الإرادة) التي أعيدت لها الحياة وتم تطويرها وتكييفها مع الزمن وتفعيلها مع الواقع ومتطلباته نستمكن الإنسان الحامل لها والعامل من خلالها إلى إعادة بعث حضارته من جديد.

إن ثورة ما، هي في جوهرها عملية تغيير<sup>57</sup>

ولكن إذا كانت هذه الإرادة ملازمة لجوهر الحضارة ذاته.ومتضمنة في معطياتها

الأصلية، في شكل إحسان أو صدقة أو زكاة. مثلا فإن قدرتها تتشكل بصورة تدريجية لأنها لا تكون في البداية سوى معطى مضر.<sup>58</sup>

فسنة التغيير سنة إعادة إنتاج الحضارة وبعث الحضارة من جديد هي موجودة كما يرى مالك بن نبي وليست هناك حتمية لزوالها وموجودة وهذه الإمكانية لإعادة بعثها هي قائمة على شروط أولها (الإرادة) إرادة العودة.

إذن شروط النهضة الحضارية حسب بن نبي هي إلزامية بأن تكون من إنتاج محلي وليس خارجي أو مستورد وأن الحضارة تصنع نفسها بإرادتها الداخلية الذاتية ومن خلال خصوصيتها لأنها حسب ابن نبي شكل راقى من الحياة الأخلاقية والمادية لا تقوم إلا على ثقافة المجتمع أو الأمة.

إذن ضرورة توجيه هذه الثقافة لتأسيس البنية الفكرية قبل إعادة البناء وهذا يتطلب فصل رواسب الماضي السيئة والتعلم من التاريخ ومن التجارب ومن السقطات الماضية والتوجيه

<sup>57</sup>مالك بن نبي،بين الرشاد والتهيه،دار الفكر دمشق،الطبعة الأولى،سوريا،1978،ص49

<sup>58</sup>مالك بن نبي،القضايا الكبرى،دار الفكر دمشق،الطبعة الأولى،سوريا،1996 ص43

بحسب مقتضيات المستقبل المرغوب به مع الحفاظ على الهوية الإسلامية وعلى الروح الإسلامية.

### المطلب الثاني: النتاج الحضاري عند مالك بن نبي

فالشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة وهذا كائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء .  
وبعبارة أخرى كل من العوالم الإجتماعية الثلاثة يتفق مع الصيغة التحليلية التالية:

$$\text{نتاج حضاري} = \text{إنسان} + \text{تراب} + \text{وقت}$$

هذه العلاقة العضوية التاريخية الأساسية تتجلى في كل عنصر من عناصر المجتمع الثلاثة لتؤكد وحدة تأثيره منفردا، كما تتجلى في علاقته بالعنصرين الآخرين لتؤكد وحدة تأثيرها مجتمعة

59

فالصيغة صادقة بالنسبة لأي نتاج حضاري وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب فستنتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية:

$$\text{حضارة} = \text{إنسان} + \text{تراب} + \text{وقت}^{60} .$$

وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاثة مشكلاتأولية-مشكلة الإنسان مشكلة التراب مشكلة الوقت فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها.<sup>61</sup>\*

بدأ مالك بن نبي بناء افكاره بنقد مرحلة من تاريخ الجزائر امتدت بين العامين ( 1925 - 1936) كادت أن تحدث فيها حركة الإصلاح التي قادها علماء الجزائر حالة من إعادة المجتمع السليم مرة أخرى في التاريخ فبعد أن تحررت حركة الإصلاح وسارت في طريق القيام

<sup>59</sup>مالك بن نبي، ميلادمجتمع (الجزء الأول شبكة العلاقات الإجتماعية) ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعةالثانية، سوريا، 1985ص

26

<sup>60</sup>مالك بن نبي، شروطالنهضة، ت: عمر مقلوب وآخرون، دار الوعي لنشر والتوزيع، الطبعة الحادية عشر، الجزائر، 2012 ص 45

<sup>61</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 45

بالواجبات وتغيير الإنسان توجهت الحركة الوطنية نحو السراب السياسي ومآهاته ويشبهه مالك بن نبي العالم الإسلامي بمريض يعالجه السياسي بما ظهر من أعراض أمراضه السياسية ويؤكد بن نبي أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس فليس واجبا لكي ننشأ حضارة أن نشترى كل منتجات حضارة أخرى فذلك ممتع كما وكيفما فحتى يركب العالم الإسلامي حضارته في زمانه هذا وجب عليه أن يرجع إلى تلك الصيغة التحليلية التي تصنع كل ناتج حضاري فالناتج الحضاري = إنسان + تراب أو مادة + وقت ومعلوم أن وجود المتفاعلات غير كاف لحدوث التفاعل في الإتجاه الصحيح المراد إذ لا بد من تدخل مركب يؤثر في مزج العناصر الثلاثة هذا المركب ليس سوى الفكر الديني أو العقيدة التي رافقت تركيب كل الحضارات خلال التاريخ فكما كانت الفكرة

الإسلامية مركب حضارة إسلامية فكذا الفكرة المسيحية مهدت الطريق لحضارة الغرب بالرغم من أن هذه الفكرة لم يكتب لها أن تعمل وتأثر إلا قرونا بعد ميلادها. أما عن مراحل الحضارة فيقول مالك أن ميلادها يبدأ بإخضاع الفكرة الدينية ( غرائز الإنسان الفطري البدائي عبر تنظيمها في مرحلة روحية وبعد ذلك تتطور الحضارة وتنشأ مشاكل وضرورات جديدة في مسارها كنتيجة حتمية لإشعاعها وانتشار أفكارها فتسلك الحضارة مرحلة ثانية أي منعطف العقل الذي يكون سلطانه على الغرائز أقل من سلطان الروح عليها ثم ما تلبث الغرائز أن تتحرر وهي مرحلة الغريزة مع غياب الفاعلية الاجتماعية للفكرة الدينية شيئا فشيئا إلى أن تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها بذلك يكون المجتمع قد دخل مبدئيا في ليل التاريخ وتمت بذلك دورة الحضارة.

الإنسان: وهو العامل الأول في تكوين الحضارة يساهم فيها بثقافته وعمله وماله وهي وسائل يجب العمل على توجيهها وقد ركز مالك إهتمامه على مفهوم الثقافة قائلا: <sup>٨٨</sup> إن الفرد عامل أساسي من عوامل الحضارة قبل أن يتطلع إلى المستقبل كان لزاما عليه أن يحطم تلك الأغلال التي تكبح تقدمه ويصفي من الأفكار البالية ومن عوامل الانحطاط هذا ما أطلق عليه مالك

بن نبي التجديد السلبي الذي يسبق التجديد الذي يصلنا بدوره بمقتضيات المستقبل بعبارة أخرى يجب على الإنسان المتخلف أن ينفك عن الثقافة السائدة في عصر الانحطاط ويرسم معالم ثقافة جديدة تحدد طريقا نحو التحضر وهنا يشدد مالك بن نبي على الخط الذي كثيرا ما يقع ما بين الثقافة والعلم " فالثقافة تعني مجموع الصفات الخلقية والمجتمعية التي تلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي يولد فيه إنها المحيط الذي يشكل فيه الفرد إنطباعه وشخصيته إنها خصائص المجتمع التي يتساوي فيها المعلم والفلاح لأنها تعبر عن التقاليد والعواطف والإستعدادات والأذواق المتناسبة المتكاملة في مجتمع ما وليست الثقافة علما خاصا بطبقة من الشعب دون أخرى فهي تحمل كريات بيضاء وحمراء تحمل أفكار النخبة والعامية في محتوى واحد يغذي حضارة الأمة.

إن الثقافة لا علاقة لها بمرض العصر ولتحديد ثقافة التحضر لابد من تحديد محتواها من العناصر الجوهرية التي تتمثل في الآتي:

### **1- الدستور الخلفي:** إن أفراد جماعة لن يكونوا وحدة تاريخية ولن يجتمعوا لتكوين حضارة

إلا عندما تهذب غرائزهم روحا أخلاقية سامية يقدهم زنادها دين ما، ولعله من أكبر مصادر خطئ شباب اليوم أنه ينظر إلى منتجات المدينة الغربية أنها نتيجة علوم وأفكار وفنون وصناعات وينسى أن كل هذه المظاهر ماكان أن يكون لها وجود لولا صلات إجتماعية خاصة هي الأساس الخلفي الذي قام عليه صرح المدنية الغربية.

### **2- الذوق الجمالي:** الأفكار والذوق العام لا يتولدان إلا من الصور المحسوسة والمشبوهة

في الإجتماعي والتي تنعكس في نفس من يعيش فيه بحيث تصبح صور معنوية يصدر عنها تفكيراً فالمجتمع الذي يحمل بين أرجاءه صوراً قبيحة لآبد وأن يظهر أثرها في أفكاره وأعماله ومساعيه وسلوكاته.



3- المنطق العملي: يؤكد مالك بن نبي أن العقل المجرد متوافر في بلادنا على خلاف العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه والذي يقول ويفكر ليعمل لا ليقول كلاما جميلا مجردا.

3- الصناعة: يدخل فيها كل الفنون والمهن والقدرات والتطبيقات العلوم أي بمنطق آخر ماذا يحسن أفراد المجتمع فعله والترتيب في سلم القيم بين عنصرى الثقافة الأولين وهما الأخلاق والجمال في كل حضارة يحدد إتجاهها ونوعية عبقريتها ويطبع إنتاجها الأدبي.

العنصر الثاني من عناصر الحضارة لدى مالك بن نبي:

التراب: من حيث قيمته الإجتماعية المستمدة من قيمة مالكيه وحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غاليا وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط.

ثم يتحدث عن

الوقت: الذي يشترك الناس في حظهم منه كما و يتباينون كيفا فوجب أن يتعلم الشعب العربي الإسلامي قيمته هذا العنصر الذي يحدد معنى التأثير والإنتاج وأخيرا يؤكد مالك بن نبي أن للإنسان قيمتان خانة طبيعية لا سلطان لأحد عليها من خارج الإنسان إلا أن يكون العطب داخليا وقيمة خارجية صناعية اجتماعية تشكل البيئة التي قد تحوي مجموعة من العراقيل التي لا تتيح لمواهب الإنسان أن تأخذ مجراها الطبيعي نحو النبوغ فإذا إنصلحت الثانية تدريجيا عبر تكاتف عمل الأفراد على أنفسهم وسلوكهم وبعبارة أخرى اخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم.

" ومن المؤكد أنه عندما نتناول الحضارة الإسلامية فلا بد من أن يدخل في إطارها بالضرورة عاملان هما: الفكرة الإسلامية التي هي أصل الإطراد نفسه والإنسان المسلم الذي هو السند المحسوس لهذه الفكرة<sup>62</sup>.

فقد إعتبر مالك بن نبي عاملي المكان والزمان والاهم عائل الإنسان الذي هو من يبني الحضارة لكن بحسب هذه المعادلة فإن هذه العناصر الثلاث لا تتفاعل مع بعضها البعض بشكل ذاتي لتصنع الحضارة هذا الأمر لا يتم إلا بتدخل عنصر رابع يلعب مثل دور الوسيط الكيميائي فيمزج فيما بينها ويجعلها تتفاعل وهذا العنصر ماهو الا العقيدة أو الفكر الديني كما يرى مالك بن نبي أن هذا الدور لعب في كل الحضارات التاريخية السابقة.

ومنه نستنتج من هذه المعادلة هو الأيديولوجية التي تجمع مابين الأطراف الثلاث المشكلة لها لذلك فالتخلف الذي يعيشه المسلمون ينبع في الأساس من داخلهم بعد أن حولوا الدين إلى مجرد عادات وطقوس وبعد أن نسيت القيم الدينية والروحية وإبتعدوا عن معانيها السامية من شجاعة ورحمة كل هذه الأسباب ضعفت العقيدة الإسلامية التي لها كل القدرة على مزج هاته العناصر الثلاث لكي تكون لنا حضارة.

فواجب الإنسان المسلم كما يرى بن نبي أن يعيد التفكير وأن ينظر لنفسه على أنه صانع لتاريخ ومحركه والتاريخ في النهاية ماهو إلا حصيلة ونتاج الفعل والعمل وليس المقولات النظرية والتنظير الفكري الأجوف الغير مرتبط بالواقع.

<sup>62</sup>نبي، شروط النهضة، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 66

### المطلب الثالث: فكرة الثقافة عند مالك بن نبي

" فالثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الإجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كراسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته<sup>63</sup>.

إن مسألة الثقافة يجب أن تطرح وأن تقوم فكريا، وفقا للنظام الهرمي للحضارة.<sup>64</sup> إذن فالمشكلة مشكلة ثقافة أكثر مما هي مشكلة قدرات وموارد سواء كانت بشرية أو طبيعية أو جغرافية وبرأي مالك بن نبي أنه لا يمكن لأي شعب أن يحل مشاكله الحضارية إن لم يفهم بعمق ماهي العوامل التي تبني الحضارة وتهدمها.

فمالك بن نبي يدعو إلى نمط جديد من الفكر لأنه يعتبر أن هناك سنة تحكم المجتمعات وتحكم التاريخ هو يستوحىها من القرآن الكريم <<إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم >><sup>65</sup> ،

"أما بالنسبة للتنفس الفيزيولوجي العادي في جو ملوث أو مسموم فالأمر واضح إن الحضارة قد جهزتنا بالشيء اللازم، أي بالقناع ضد الغزات"<sup>66</sup>

و يدعو إلى تغيير الأفكار ويثور على الفكر الجامد الذي يعتبره ثقافة جامدة قاتلة مية ثقافة تضعف الضمائر وتربك العزائم وتدعو إلى الكسل والتواكل ويدعو ابن نبي إلى فكر جديد. مالك بن نبي يعرف الثقافة بأنها المحيط الذي يعكس الذي يعكس حضارة معينة وأنها الجو الروحي الذي يتنفس فيه أبناء الحضارة هي أسلوب حياة في المجتمع وهي سلوك إجتماعي يطبع تصرفات كل فرد في علاقته بالأشياء والعالم وبكل شيء.

فالثقافة هي ثمرة التصور الفلسفي للوجود فبالثقافة يستنبط الفرد المرجعية الحضارية بخلفتها الدينية والتاريخية التي تحدد للإنسان الرؤية للوجود لذلك بإختلاف الحضارات وبإختلاف

<sup>63</sup>مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 83

<sup>64</sup>مالك بن نبي، من أجل التغيير، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، سوريا، 1995، ص 58

<sup>65</sup>[سورة الرعد الآية 11]

<sup>66</sup>بن نبي، في مهبط المعركة (إرهاصات الثورة)، دار الفكر دمشق، الطبعة الثالثة، سوريا، 1981، ص 128

الأديان وطبيعة التصورات ومنه مستحيل أن نتعامل مع الثقافة وكأنها منتج أو بضاعة بمجرد استلامها سوف تنتج الحضارة بمعنى أن صناعة الثقافة مرتبطة بثنائية الحضور العقلي والمرجعي التي يحولها الإنسان إلى رؤى ثقافية في الوجود.

**2الأخلاق:** أما القرآن فسيأتي بمبدأ إيجابي أساسي كما يكمل منهج الأخلاق التوحيدية ذلك المبدأ هو

(لزوم مقاومة الشر) فهو يخاطب معتقيه بقوله << كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر >> [آل عمران 110 / 2].<sup>67</sup>

إن الأخلاق جاءت بمثابة واجب على البشرية في حق بعضها البعض فمهمتها كمهمة التربية فالأخلاق تعتبر كقاعدة أساسية ومبدأ في تربية الفرد والإنسان ككل وتقويم سلوكه حيث نجد أن القرآن الكريم مليئ بين صفحاته بالبحث والدعوة على مكارم الأخلاق في قوله تعالى << وإنك لعلى خلق عظيم >> فالأخلاق عند مالك بن نبي هي القاعدة الأولى والأساسية وهذه القاعدة المكونة من الدين والأخلاق وهي الأداة الرابطة والجامعة وأساس هذا الربط هو الطبيعة الإلزامية

للقيم المشتملة بين سطور معطيات الدين والأخلاق تقوم بدور وعملية تكوين الشخص وتشكيله فهي لا تسعى إلى محو الطاقات الحيوية الفردية فيه وإنما تشرطها وتكيفها.

<sup>67</sup>نبي، الظاهرة القرآنية، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الرابعة، سوريا، 1987، ص 207

## الفصل الثالث: تقييم

المبحث الأول: لمحات من أثر الحضارة الإسلاميّة في الحضارات الإنسانيّة الأخرى.

المبحث الثاني: وسائل نشر الحضارة الإسلاميّة في أوروبا و أثرها.

## تمهيد

قد تكون الشعوب بصفة عامة مختلفة عن بعضها البعض في كل الأصناف سواء من حيث العرق وفي اللون وفي الدين والتاريخ في اللغات في العادات والتقاليد وفي أشياء كثيرة لكن في ذات الوقت هناك إشتراك حتمي بين هاته الشعوب لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان متنوعاً، إذن فمن الطبيعي هذا الاختلاف بين البشر لأن هذا التنوع والاختلاف هو العجلة التي تدفع الإنسانية إلى الأمام والوصول إلى الهدف المنشود وهو التكامل بين أفراد الجنس الواحد.

المبحث الأول: لمحات من أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الإنسانية الأخرى.

المطلب الأول: أثر الحضارة الإسلامية في هجم الشرق الفاتحين المدمرين

قدمت جيوش التتار والمغول من الشرق بوحشية لئيمة قذرة وهمجية منقطعة النظير إلى بلدان المسلمين وحواضرهم التي كانت مزدهرة بألوان من الحضارة الراقية التي فاقت كل الحضارات المعاصرات لها والحضارات الغابرات.

فلسطت هذه الجيوش الهمجية عليها أدوات القتل والإفساد والتدمير بنفوس لا تعرف شيئاً من معاني الإنسانية فقتلت وفتكت ودمرت بلا عقل ولا تقدير وإبادة شيئاً كثيراً من حضارة المسلمين في بلدانهم وأفنت الشيء الكثير جداً من كنوز العلم التي كانت تشتمل عليها مخطوطات خطتها أيدي ألوف من علماء المسلمين جمعاً وتصنيفاً أو إبتكاراً وإبداعاً أو إستنباطاً أو إستنتاجاً أو إستخراجاً بالإجتهد الفكري المعرفي وعملت على إستنساخها مئات الألوف من الكتب والوراقين.

ولما هداً بركان هذه الجيوش الهمجية الفتاكة المدمرة وسكن طوفانها وصحت من سكرها وعربدتها وبردت حرارة مطامعها وشرورها نظرت في واقع حال المسلمين المغلوبين فوجدت أنهم يتمتعون بتفوق فكري واصالة حضارية راسخة وشاهقة لم تبلغ بعد شعوبهم الغازية إلى سفوحها

68.

ووجدت هذه الجيوش أنها إذ غزتهم ودمرت كثيراً من حضراتهم وحضارتهم كانت تخوض في احوال وديان همجية قذرة منتنة وأن عليها حتى تكون من صنف البشر أن ترتقي شيئاً فشيئاً مقتنية ركب المغلوبين من المسلمين ومقلدة لهم في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم وعلومهم.

فأسلم بعض قادتهم وتبعتهم جيوشهم وشعوبهم وصاروا بمرور الزمن جزءا من المسلمين إكبارا لهم ولحضارتهم العظيمة وإعجابا بعناصرها الفكرية والسلوكية وإعجابا بآثارها المادية وكان من نتيجة ذلك أن أسهم كثير منهم بإنشاء مؤسسات حضارية تخلد أسماءهم داخل بلدان المسلمين التي كانوا قد دمروا ما دمروا منها<sup>69</sup>

### المطلب الثاني: واقع حال أوروبا والغرب إبان ازدهار حضارة المسلمين

أخذ المسلمون منذ تكونت لهم دولة ذات كيان مستقل، يبنون حضارتهم بهدي من تعليمات الإسلام في القرآن الكريم وبيانات الرسول العظيم القولية والعملية وتوجهت أنصارهم لإصلاح شعوب الأرض ودعوتها للسير على صراط الإسلام إلا من شذ منهم عن العمل بتعليمات دينه إتباعا للهوى أو خطأ في فهم نصوص الإسلام.

وفي انطلاقتهم شرقا وغربا وأخذوا يعلمون الناس ما هداهم إليه الإسلام من حضارة فكرية إعتقادية وحضارة سلوكية فردية وإجتماعية وما دعاهم إليه الإسلام من بناء حضارة مادية تنشد الخير وتقاوم الشر والضرر والفساد مؤمنين بأن الله جل جلاله سخر الكون للناس لينتفعوا بما فيه من خيرات وطاقات ظاهرات أو خفيات ضمن قواعد الحق والخير والفضيلة والجمال ومؤمنين بأن الله جل جلاله مكن الناس عن طريق البحث والتنقيب واستعمال الفكر والتأمل العميق والقيام بالتجارب العملية والملاحظات المتأنيات للتجارب من التوصل إلى مفاتيح كنوز الكون وطاقاته الخفية والتعرف على مسالكها ومؤمنين بأن الله جل جلاله حثهم على أن يتابعوا البحث والتنقيب

والتجارب والملاحظات المتأنيات بكل ما لديهم من وسع متجدد وقدرات على متابعة حلقات سلاسل المعارف المحجوبة عن<sup>70</sup> أنظارهم القصيرة وحثهم على أن يخفروا أنفاق البحث

<sup>69</sup> عبد الرحمن حسن حنكة الميداني المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 669  
<sup>70</sup> ص 659



لإستخراجها حلقة بلا نهاية منظورة وأن يكونوا السابقين إلى كل فضيلة ومكرمة وعلم وإلى امتلاك كل قوة يمكن أن يمتلكها الناس بتسخير الله ما في الكون لهم<sup>71</sup> لقد اعتنقت أوروبا النصرانية المنسوبة زورا إلى المسيح عليه السلام ثم تلي هذه المرحلة مرحلة أخرى وهي سقوط روما بأيدي البرابرة ثم جاءت على أوروبا مرحلة 8 قرون كاملة من التيه والضلال إصطاح المؤرخون الغربيون على تسميتها أو على جزء منها ب عصور الضلمات وتحدثوا عن الانحطاط الكامل آنذاك في الثقافة والعلم والفن وكل جانب من جوانب الحياة إلا جانبا واحدا وهو الدين حيث توغلت النصرانية في الممالك البربرية الوثنية وأدى هذا التناقض الحاد إلى الانهيار الحضاري في أوروبا علميا وإنتشار هائلا دينيا.

أما الإسلام فقد كان الرومان عامة يعدون كل من غيرهم وعاداهم من الشعوب برابرة وكان الباباوات ورجال الكنيسة يعدون الإسلام وثنيا وإمتزجت العنصرية القديمة بالحقد الديني الجديد غير أن الواقع الإسلامي آنذاك كان مختلفا بين الحضارتين (الإسلامية والغربية) وقد كتب التاريخ بأن لا تعتنق أوروبا الإسلام غير أن ما كانت تفعله أوروبا فقد كان أكبر من مجرد التعصب لوثنييتها فقد تعدى ذلك إلى العدوان العسكري المتواصل على الإسلام وأهله والوقوف الدائم لكل عدو وهكذا كانت الحملات الصليبية التي لم تنسها أوروبا.

وحين إنطلق المسلمون بينون حضارتهم في البلدان التي ملكوا نواصي السلطان فيها شرقا وغربا كانت شعوب أوروبية والشعوب الغربية كافة في جهل مطبق وأمية منتشرة في كل طبقاتهم وتخلف حضاري بعيد في الفكر وفي السلوك الفردي والاجتماعي وفي مختلف مجالات العلوم. وبينما كان كثير من علماء الدين الإسلامي يتوجهون بإهتمام بالغ لدراسة العلوم الرياضية والعقلية والطبيعة ويبحثون في الظواهر الكونية عن العلل والأسباب وينقبون في كل موقع مادي أو معنوي يصلح للتنقيب فيه بغية إكتشاف سنن الله وقوانينه في كونه وإستخراج الكنوز

التي أودعها في خباياه كان قادة الكنيسة ورجالها في أرجاء الأرض يعادون ويحاربون كل من يأتي بنظرية أو حقيقة علمية تعليماتهم التقليدية لو كانت لهبطته ومخالفته في أفكاره التي جاء بها تعليماتهم

مع أن تعليماتهم هي من أوضاعهم أو من الأساطير التي تقولها عن أهل القرون الأولى وليست من دين الله الذي أنزله الله على عيسى أو موسى أو إبراهيم أي رسول أو نبي يؤمن به اليهود أو النصارى من الصادقين.

ولما كان المسلمون يتوضئون لصلواتهم ويغتسلون إغتسالات واجبات وإغتسالات مندوبات ويستنجون أو يستجمرون ويتحرزون من النجاسات والقذارات ويسرعون إلى ازلتها عن أجسادهم وثيابهم وأماكنهم وأدواتهم إذا وقعت عليها أو لامستها كانت الشعوب الأوروبية والشعوب الغربية العامة لا تعرف شيئاً عن الطهارة وإزالة النجاسات من الأبدان والثياب والأمكنة والأدوات ولا تعرف الاستنجاء بالماء حتى رأوا المسلمين يفعلون ذلك واستمروا في الغالب على عاداتهم السابقة حتى إكتشف علماءهم الجراثيم والميكروبات ورأوا أن النجاسات والقذارات هي أعظم البؤر الحاملة لها وأنها تسبب الأمراض والالوجاع والأوبئة الخطيرة.

وليس يخاف على أي ذي فكر ونظر أن الطهارة والعناية بها من أجل مظاهر الحضارة البشرية.<sup>72</sup>

أوروبا التي كانت لا تعرف التمدن تحاصر مدنا في محيط الحضارة الإسلامية والتي كانت لا تعرف العلم لقرون ولم تعرف كتباً إلا الإنجيل ولا قارءاً إلا القسيس لقد كانت أوروبا لا تستطيع أن تصلي لربها أو تقدم قرباناً إلا يتوسط البابا وكهنته ولا تستطيع أن كتابها المقدس ولا تفسره ولا تترجمه إلى لغة مفهومة للعامة

غير أن القرآن في الشرق الإسلامي آنذاك يتلوه الملايين في المساجد والبيوت بلا واسطة مخلوق.

لقد كان يعيش في أوروبا جل سكان عبيدا وفلاحين ولا يستطيع أحدهم أن يأخذ حريته من إقطاعيته وإن حاول ذلك كان عقابه الكي بمياسم عريضة تطبع العبودية على جبينه مدى الحياة.

وبالمقابل تجد الناس في الشرق الإسلامي يعيشون ويتنقلون أحرارا من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي

وأوروبا التي كان يحكمها الأباطرة حكما إستبداديا مطلقا وقد كان يعتقد الرعايا بأن القيصر من نسل الآلهة وأن الله هو الذي أعطاه هذا الحق وأورثه لسلالته المقدسة.

لقد كانت أوروبا غارقة في الهمجية والوحشية التي تحرق المخالفين وهم احياء وتتفنن في تعذيب المخالفين ولا تعرف عهدا ولا ميثاقا.

فأوروبا ما كانت تحسب العالم موجودا سوى أوروبا التي كانت تسمى الوصول إلى شيء من أطراف الشرق إكتشافا غير انها فوجئت بوجود المسلمين الذين يجوبون العالم شرقا وغربا من تجار ورحالة ودعاة بكل تواضع وهدوء فقد وصلوا إلى أجزاء من شمال أوروبا قبل أن تعرفها أوروبا نفسها.

لقد كانت أوروبا تتدأى بمركبات من الروث والبول وأشلاء الحشرات الميته غير أن العالم الإسلامي كان غير ذلك تماما الذي كان زاخرا بالمستشفيات والمعامل القائمة على منهج التجربة والاستقراء مع الخبرة والحدس في التشريح والتشخيص والجراحة وتركيب الدواء وكل ذلك مدون في موسوعات ضخمة ظلت المصدر الأول لنهضة الطب الحديث ولا تزال مرجعا متجددا له.

**المبحث الثاني: وسائل نشر الحضارة الإسلامية في أوروبا وأثرها**

**المطلب الأول: وسائل نشر الحضارة الإسلامية في أوروبا**

إتفق الباحثون على أن الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ في الحضارة الأوروبية ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا لا تزال تضطرب في ظلام العصور الوسطى كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم من حدود الصين إلى جبال البرانس وورثوا مع فتحهم فلسفة اليونان وأفادوا من ثقافة العربية الأصيلة وأفسحوا صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة وأقبلوا عليها وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهديب وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وإبتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها وإكتمالها وتميزت عما عداها من الحضارات السابقة.

والحضارة الغربية لا ينتقصها ولا يقلل من شأنها انها أفادت من الحضارات التي سبقتها فذلك شيء طبيعي إذ أن سنة التطور الحضاري ولوجدنا أنفسنا اليوم في مستوى أقرب إلى ما كان عليه الإنسان الأول في العصر الحجري ولكن يكفي العرب فخرا أنهم لم يقنعوا بما تعلموه من غيرهم وإنما بحثوا وإجتهدوا وإبتكروا وأضافوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضاري بعيدا إلى الأمام وأضافت الطريق إلى أوروبا فقامت حضارتها وتقدمت في خطى ثابتة واسعة حتى وصلت إلى منتهى ما أمكن للعقل البشري أن يصل إليه.

وقد أشعت هذه الحضارة ونشرت أضوائها على أوروبا بوسائل وطرق كثيرة من أهمها وأعظمها اثرا:

1- طريق الأندلس: فقد أقام العرب هناك جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوروبا ونشر هؤلاء الطلاب في بلادهم ماتعلموه من العرب كما إنتفع الأوروبيون بدور الكتب الكثيرة التي كانت منتشرة في إسبانيا مما ساعد على إحياء العلوم في أوروبا فيما بعد.

2- طريقيصقلية: فإن المسلمون ظلوا في هذه البلاد زهاء 130- سنة فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية في أوروبا وكان الملوك المسيحيون هناك يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي كما كانوا يدفعون رعاياهم إلى ترجمة الكتب العربية<sup>73</sup>

<sup>73</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 327

**طريق الشرق:** فقد كانت الحروب الصليبية والحج إلى بيت المقدس مدعاة لإختلاط الأوروبيين بالعرب فنقلوا عنهم الكثير من علومهم ومعارفهم وفنونهم وصناعاتهم كما حصلوا على كثير من الكتب العربية فساعد ذلك على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم وفنونهم.<sup>74</sup>

إن الحضارة الإنسانية عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات كل حضارة تأخذ من سابقتها وتعطي اللاحقة بها والحضارة العربية الإسلامية كما أفادت من الحضارات السابقة عليها مثل الحضارة الفارسية البيزنطية أضافت وزادت الكثير وتعدت الحضارة السابقة. إنتقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا عن طريق الأندلس صقلية وجنوب إيطاليا كذلك الحروب الصليبية وكذا التبادل التجاري.

**الأندلس:** تعتبر الأندلس من أهم المعابر التي ساعدت على إنتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا ففي الأندلس كان هناك تركيز للمسلمين ولا يزال إلى يومنا هذا من غرناطة وإشبيلية وغيرها والوجود الإسلامي بقي في الأندلس لمدة 8 قرون فالاندلس كانت مركز العلم ومنازة لأوروبا كاملة وكانت نقطة إنطلاق العلم إلى أوروبا ( فرنسا وماجاورها) فقد كان الفرنسيون يقومون بإرسال أولادهم لتلقي العلوم هناك (في الأندلس) وتعلم اللغة العربية والطب والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم التي كانت تعتبر الأندلس السابقة لهاته العلوم في تلك الفترة.

### المعبر الثاني

**صقلية:** فتح المسلمون جزيرة صقلية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وضمها إلى حوزة الدولة الإسلامية.

ترك فيها المسلمون تراثا حضاريا ضخما إستفاد من حكام النورمان من العلماء المسلمين الشريف الإدريسي الذي خدم عند النورمان وألف كتاب (نزهة المشتاق في إختراق الآفاق)

<sup>74</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص328

أعلن أحد المستشرقين الروس أن ما قام به الإدريسي هو إقرار صريح من روجر الثاني يتفوق الحضارة العربية الإسلامية على مثيلاتها الأوروبية.

### المعبر الثالث

**الحروب الصليبية:** الحروب الصليبية هي حروب شنّها الغرب الأوروبي النصراني ضد مسلمي الشرق الأدنى.

إستفاد الصليبيون مما شاهدوه من مظاهر التقدم والرقي الحضاري عند المسلمين سواء في فن العمارة أو في فن الفلك أو الطب أو غيرها من العلوم التي نقلوها من الشرق الأدنى إلى أوروبا وآخر معبر من معابر إنتقال الحضارة الأوروبية: هو معبر

**التبادل التجاري:** التجارة وسيلة فعالة لنقل الحضارة من مكان لآخر على الرغم من حال العداء إلى أوروبا والعالم الإسلامي وكان التجار الأوروبيون دائمي التردد على البلدان الإسلامية وتواجد هؤلاء التجار في البلدان الإسلامية قد أفاد عملية إنتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا.

### المطلب الثاني: أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا

"إن الإسلام هو الذي يقدم للعالم (المنهج الرباني المتكامل) لإنقاذ مسيرة الحضارة ولا نستطيع في هذه الدراسة القصيرة تقديم مزايا وخصائص المنهج الإسلامي تجاه المناهج الأرضية المنهارة وربما سنحت فرصة أخرى أكثر إتساعاً لمناقشة تلك المزايا والخصائص تفصيلاً.

إن الإسلام -في نظرة عاجلة -سريعة يقدم للعالم:

المنهج الذي يفسر له غاية الوجود الإنساني ومكانة الإنسان في الأرض وعلاقته بالكون.

المنهج الذي يراعي في الإنسان فطرته ويتمشى مع متطلباتها ويهتم بجميع طاقاته الجسمية والروحية والعقلية ويوازن بها<sup>75</sup>

<sup>75</sup> عبد القادر طاش، أزمة الحضارة الغربية والبيدلل الإسلامي، مكتبة المختار، ط، ب.س.ن، ص 46

كل إنسان في مختلف الحضارات له منقوصات وكذلك البيئات غير كاملة بمعنى أن الله سبحانه وتعالى منح هذا الشخص (الإنسان) عدة مواهب معينة وحرمه من مواهب أخرى لا يستطيع أن يفعلها (مثال: شخص له القدرة على التحليل والاستنتاج في الرياضيات مثلا ولا يستطيع التعبير والإعراب في اللغة بالمقابل وكذلك البيئات فيبئة تتوفر على المواد الخام التي تساعد سكانها على البيع والعيش بهناء وهناك منطقة أخرى تتوفر على المياه التي يعيش بفضلها الإنسان والحيوان أيضا.

وهذا التنوع والنقص إنما هو تنوع ونقص مقصود ويكمل بيئة أخرى) وهذا التنوع خلق قصدا من خالق بارئ ليدفع بالإنسان دفعا لتعامل مع غيره من الأجناس فخلق للإنسان أحد الطريقتين إما التعارف على ما حوله من حضارات والتكامل بيه وبينها واما التصادم بمعنى أن يتعارف الإنسان بغيره ويحاول أن يأخذ منه ويعطيه وهذا ما يسمى بالمصالح المشتركة أي تبادل المصالح لكيستقيم الحياة على هذه الأرض فيكمل الفرد ماله من نقص ولغيره إذن العقلاء يسعون إلى الطريق الأول وغيرهم يسعى لطريق الثاني فالتكامل بين

الحضارات تعقبه سعادة وأمن واستقرار وسلام فتقل الحروب والمشاكل الإنسانية كما يقول سبحانه وتعالى <<إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا >> فإن لم يكن التعارف حصل

التصادم بين الشعوب حتما لأن كل طرف يحتاج ويريد ما عند الآخر من مؤهلات فإذا تم هذا التبادل بسلام وطواعية سوف تجتاز البشرية جملة الحروب والتوترات كلها فلا بد أن يسعى الإنسان إلى التعارف على الحضارات المختلفة وهذا مبدأ إسلامي أصيل فمدام الفرد المسلم معتز بدينه وفخوره بشريعته ويعظم تاريخه الإسلامي فوجب عليه الانفتاح والسعي والتعامل مع الثقافات و الحضارات الأخرى وهذا المبدأ احرص عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفي سورة الحجرات تدفع الناس على اختلاف اديانهم وأعرافهم ولغاتهم تدفعهم إلى التعارف مع بعضهم البعض <<يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى>><sup>76</sup>

إنه في خلال الفترة الذهبية ف

ي تاريخ الإسلام أنشئت المدارس في مختلف البلاد الإسلامية شرقا وغربا وكثرت المكتبات وإمّلت بالمؤلفات في مختلف العلوم حتى لقد إشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد وكان بالأندلس سبعون مكتبة عامة إلى جانب الكثير من المكتبات الخاصة.

إجتذبت هذه المدارس وتلك المكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم المسيحي والإسلامي على السواء وكان ممن درسوا في مدرسة طليطلة وأفاد منهم العلم: ميشيل سكوت ودنيال مور لي وأديلاريات ...

وفي مجال الطب نجد مثلا أن كتاب "الحاوي" للرازي المؤلف من عشرين مجلدا يجمع كل المعلومات الطبية التي كانت معروفة في زمانه وظل المرجع الوحيد المعترف به في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر.

وفي علم البصريات حقق المسلمون أعظم تقدم علمي ورسالة الكندي في العلم هي التي إعتد عليها روجر بيكن في دراسته لهذا الموضوع.

وقد عارض الكندي كل من سبقه من العلماء الذين إعتقدوا أن العين ترسل أشعة تبصر بها الشيء المرئي هو الذي ينفذ إلى العين مارا خلال فتحة الشفافة (العدسة) وقد اعترف بأثره بيكون ودافنشي وكيلبر.

وفي الكيمياء يعتبر جابر بن حيان مؤسس هذا العلم فهو الذي نظم كثيرا من طرق البحث والتحليل وركب عددا من المواد الكيميائية وكانت أبحاثه وما توصل إليه من معلومات هي المراجع الأولى في أوروبا حتى القرن الثامن عشر ميلادي.

وفي الرياضة يرجع إليهم الفضل في الطرق الحسابية المستعملة في الحياة اليومية في عصر الحاضر وهم الذين جعلوا من الجبر علما حقيقيا وتقدموا به تقدما كبيرا حتى إعتبروا أنهم هم



الذين وضعوه كما أسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين.<sup>77</sup>

وفي الفلك توصلوا إلى كثير من النتائج القيمة وحفظوا الأوروبيين في ترجمتهم للكتباليونانية كثيرا من المؤلفات التي فقدت أصولها وهم الذين قالوا بنظرية كروية الأرض التي أخذها عنهم من جاء بعدهم في العصور الوسطى.

وفي علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية وما إلى ذلك من أهم المراجع التي إعتمدت عليها أوروبا في إبان نهضتها العلمية.

وفي علم الإجتماع يعتبر ابن خلدون أول مفكر إجتماعي فهو أول من صاغ قوانين تقدم الأمم وإنهيارها وأول من عرف للعوامل الطبيعية والجغرافية والمناخية تأثيرها وأهميتها في ذلك وفي اللغة والآداب والفنون أثر الشعر العربي في الأغاني والأناشيد الإسبانية يقول جيب "إن أعظم أثر للأدب العربي كان في بعث روح الكتابة فقد حرر الفكر الأوروبي من نطاق الضيق التقليدي المميت "

وفي الغرب مدين للعرب أيضا بإدخال الكثير من الاصطلاحات والآلات الموسيقية وقد تفوق المسلمون كثيرا في الفن والنقش وأشغال الذهب والفضة والأنية وعندهم أخذت أوروبا كما تأثرت الفنون المعمارية في الغرب بعناصر الفن الإسلامي<sup>78</sup>

لقد دخلت كثير من الألفاظ العربية الى اللغات الأوربية خاصة اللغات (الاسبانية البرتغالية والايطالية مثل كلمات: قهوة، سكر، جبر، كيمياء وغيرها كما نقل الأوروبيون بعض المؤلفات العربية مثل مقامات الحريري ومقامات بديع الزمان الهماذاني. هذا كان في مجال اللغة والآداب.

<sup>77</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص330  
<sup>78</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 330

ثانياً: في مجال العلوم: ففي علم الرياضيات إستفاد الأوروبيون من كتب ومؤلفات العرب المسلمين في الحساب والجبر وكذا حساب المثلثات التي كانت لها القاعدة الأساسية والدور الأكبر في وضع الأسس الصحيحة للرياضيات الحديثة في أوروبا.

أما في علم الفلك كان للمسلمين الدور الأبرز والفضل الأكبر في معرفة الأوروبيين الأدوات والآلات كالمرصد الفلكية التي أعانتهم على الرصد ودقة إستخدام الأوروبيين تلك الآلات والأدوات في إكتشافاتهم الفلكية.

وللعالم العربي والإسلامي علاقة وثيقة مع النجوم فمنهم من إكتشف النجوم وسماها ومنهم من إستعملها بوصلة لرحلاته.

شهد علم الفلك في العالم الإسلامي نهضة في حقبة بيت الحكمة التي أنشأت في عصر هارون الرشيد في بغداد حيث قال عالم الفلك الشهير نيل ديغراس تايسون قال إن العالم لم يشهد مثيلاً له لا قبل ولا لاحقاً.

إحتضن المرصد الفلكي في بيت الحكمة علماء مثل الجوهري والخوارزمي والصوفي.

وأصدر جداول فلكية بين مواقع النجوم والكواكب وأسس طرقاً لحساب تحركاتها.

وطور وإخترع علماء بيت الحكمة العديد من الأدوات الفلكية والحسابات الفلكية والكرات الجغرافية المحلقة التي تستخدم لحساب الإحداثيات الفلكية.

الكثير من النجوم التي إكتشفت أو سميت في العصر الذهبي لعلم الفلك الإسلامي مازالت تحمل أسماءها العربية إلى اليوم كالمطائر الذنب والدبران.

علم الفلك المتطور في العالم الإسلامي لعب دوراً كبيراً في تعافي علم الفلك البيزنطي والأوروبي بعد حقبة الفترة المظلمة خلال القرون الوسطى الأولى، إذ ترجمت مؤلفات بيت الحكمة للغة اللاتينية خلال القرن الثاني عشر والتي لا تزال تعتبر مراجعة معتمدة لعصرنا الحالي.

أما في علم الجغرافيا إستفاد الأوروبيون من كتب المسلمين الجغرافية التي وضعوها لمختلف الطرق البرية والبحرية كما إستفادوا من مخترعات المسلمين البحرية مثل (الاسطرلاباتوالبوصلة)

في علم الفيزياء نقل الأوروبيون كثيرا من أبحاث المسلمين في علم الفيزياء و إعترفوا بأن كتاب الحسن ابن الهيثم (المناظير) هو مصدر معارفهم في علم البصريات التي توصلوا إلى معرفتها.

علم الكيمياء: أخذ الأوروبيون عن المسلمين معرفة المركبات الكيميائية وأصبحت كتب جابر بن حيان أساسا في تدريس علم الكيمياء في جامعات أوروبا وإستخدموها في الأعراض الصناعية مما أسهم في التقدم الصناعي والعلمي لدى الأوروبيون.

علم الطب والصيدلة: إعتمدت الجامعات الأوروبية في تدريس الطب على كتب المسلمين مثل كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي وكتاب (القانون في الطب) لابن سينا الذي ظل يدرس في أوروبا لمدة ستة قرون كما ترجمت كتب أبي القاسم الزهراوي في الجراحة) إلى اللغات الأوروبية وترجم كتاب ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية) والأغذية إلى اللغات الأوروبية.

في مجال إستفادات أوروبا من الكثير من المحاصيل الزراعية التي دخلت إليها عن طريق بلاد الأندلس (إسبانيا حاليا) منها الزيتون والأرز وقصب السكر والكروم والبرتقال والقطن.

كذلك في مجال العمارة إستفاد الأوروبيون من المسلمين وبخاصة في مجال الهندسة العسكرية مثل بناء القلاع والحصين وإقامة الأبراج وصددهم كما تأثر فن البناء الأوروبي كثيرا بفن العمارة الإسلامية وبخاصة ما تركه العرب في الأندلس كقصر الحمراء والجامع الكبير في قرطبة.

تقول " زيرغيد هونكه «: لقد أحاط العرب (أي: المسلمون) بقلوبهم حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والميكانيكا والطب والفلك والفلسفة.<sup>79</sup>

<sup>79</sup>عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 666

يقول مرجليون عن القرآن: <<بإعتراف الجميع يحتل القرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة في العالم وعلى الرغم من أنه قد جاء الأحدث في قائمة مثل هذا النوع من الأعمال التي تعتبر مطلع عهد جديد في الفكر والتاريخ فيكاد لا يضاهيه عمل آخر في تأثيره العجيب الذي أحدثه في جموع هائلة من البشر لقد خلق تطورا جديدا في الفكر الانساني ونوعا حديثا من الشخصية الإنسانية " .<sup>80</sup>

ففي بداية الأمر حول القرآن عددا من القبائل الصحراوية غير متجانسة في شبه الجزيرة العربية إلى أمة من الأبطال ثم واصل على نحو مطرد خلق الهيئات الدينية السياسية الكبيرة في العالم الإسلامي والتي تعتبر إحدى القوى العظمى التي يجب على أوروبا والشرق وأن يحسب لها حسابا اليوم " <sup>81</sup>

وفي التجارة كان المسلمون رواد العالم الحديث فقد انشأوا النقابات وعرفوا نظام الحوالات وخطابات الإعتماد ووثائق الشحن.

كما يذهب إلى أن العرب هم في واقع الأمر أساتذة أوروبا في جميع فروع المعرفة " واخيرا نقول كما قال السيد أمير علي " وإنا نجد الميسيو سيدو لا يعدو الواقع في قوله إن الكنوز الأدبية العظيمة التي أوجدها العرب في ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمي، وإخترعاتهم الثمينة تنهض ليلا على نشاطهم الفكري وتؤبد الرأي القائل بأن العرب هم أستاذتنا في كل شيء إذ أنهم زدونا بمواد جلييلة القيمة في تاريخ العصور الوسطى وبأسفار مجيدة في التراجم وتركوا لنا صناعة لا مثل لها وفنا معماريا آية في الروعة والجمال وإكتشافات هامة في الفنون والصناعات. <sup>82</sup>

<sup>80</sup>لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام في الفكر الغربي (دين ودولة وحضارة) مكتبة التراث الإسلامي، ب.ط، ب.س، ص 17

<sup>81</sup>لواء احمد عبد الوهاب، المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 18

<sup>82</sup>أبو زيد شلبي المرجع السابق نفسه بالتصرف ص 333

لقد كانت الحضارة الإسلامية من أرقى وأرفع الحضارات التي وجدت في وجه الأرض فقد كانت مضرب المثل في إسهاماتها في شتى مجالات الحياة فقد قدم المسلمون للإنسانية ما لا يستطيع فاعل أن ينكره فتركوا في مجال بصمة مازال أثرها باقيا إليومنا هذا. ففي مجال الطب بزغ كثير من علماء المسلمين فأبو بكر الرازي من علماء العصرالذهبي للعلوم وبحيث وصفته " زيغريد هونكه " في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » فقالت إن الرازي أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق

فقد ألف الرازي كتاب "الهاوي " في الطب الذي يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام 925م وظل المرجع الرئيسي في أوروبا لمدة 400م عام بعد ذلك التاريخ. وكذلك على بن عيسى الكحال والذي يعتبر أعظم طبيب عيون في القرون الوسطى برمتها وله كتاب تحت عنوان " تذكرة الكحالين "والذي قسمه إلى ثلاثة أقسام « القسم الأول في تشريح العيون »

والقسم الثاني: في أمراض العين الظاهرة.

والقسم الثالث: في أمراض العين الباطنة التي لا تقع تحت الحس وقد إكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في الغرب وترجم إلى اللاتينية والعبرية. وكذا أبو القاسم الزهراوي:

والذي يعتبر من أعظم الجراحين في التاريخ فقد تمكن من إختراع أولى أدوات الجراحة كالمشرط والمقص الجراحي كما وضع الأسس والقوانين للجراحة ومن أهمها ربط الأوعية لمنع نزفها وكذلك إختراع خيوط الجراحة وكان كتابه الذي أسماه (التصريف لمن عجز عن التأليف) موسوعة طبية متكاملة لمؤسسي علم الجراحة حتى القرن السادس عشر أي ما يزيد عن خمسة قرون من زمانه.

وأما في مجال الفيزياء فكان من العلماء المشهورين في الفيزياء أبو الريحان البيروني فقد عين الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعا من أنواع الحجارة الكريمة ووضع القاعدة التي تنص على أن

الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزيحه وشرح الأسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بإستخدام لاواني المستطرفة

وكذلك أبداع الخزاني في حقل الفيزياء إبداعا كبيرا من نظرياته نظرية الميل والانحدار ونظرية الإرتفاع وهاتان النظريتان أدتا دورا مهما في علم الحركية ويعتبر الكثير من المؤرخين في تاريخ العلوم أن الخزاني أستاذ الفيزياء لجميع العصور

أما في علم البصريات نسق آخر متطور وفريد: فقد كان الفيلسوف وأبو بكر الكندي من أوائل المسلمين الذين طرقتوا ميدان هذا العلم فقد تناول الظواهر الكونية وعالجها في كتابه الشهير (علم المناظر) كما أنه أضاف وصفا دقيقا للمبدأ الإشعاع وكان لكتابه صدى في المحافل العلمية العربية ثم الأوروبية خلال العصور الوسطى.

ثم جاء الحسن بن الهيثم والذي تعد أعماله العلمية فتحا جديدا ووثبة خطيرة في عالم البصريات وفيزيولوجية الإبصار وكانت أعماله هي الأساس الذي بنى عليه علماء الغرب جميع نظرياتهم في هذا الميدان فقد قدم وصفا دقيقا للعين والعدسات والابصار بواسطة العين وهو أول من نوه بإستخدام الحجرة السوداء التي تعتبر أساس التصوير الفوتوغرافي وفي علم الجغرافيا يقول الفيلسوف " ول ديوانت "صاحب كتاب قصة الحضارة عم الخرائط التي رسمها الإدريسي فقال : وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى لم ترسم قبلها خرائط أتم منها أو أدق أو أوسع أو أعظم تفصيلا.

ويعد المسلمون أول من وضعوا خطوط الطول وخطوط العرض على خريطة الكرة الأرضية وقد وضعها العالم أبو علي المراكشي وذلك لكي يستدل المسلمون على الساعات المتساوية في بقاع الأرض المختلفة للصلاة.

وكانت الكيمياء في الحضارة الإسلامية عبارة عن محاولات فاشلة لتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة معتمدة على العقل والاستدلال المنطقي ومستبعدة المنهج العلمي القائم على التجربة والملاحظة جانبا.

حتى ظهر علماء المسلمين الذين أسسوا المنهج العلمي الدقيق وإستدلوا بالتجربة العلمية وإشراك الحس والعقل معا للوصول إلى الحقائق العلمية في هذا الحقل العلمي بالذات فنتج عن ذلك نشأة علم الكيمياء بقواعده وأصوله.

كان جابر بن حيان أول عالم مؤسس هذا العلم الكبير حتى بات لا يعرف هذا العلم لعدة قرون فقد ألف كتبا كثيرة وترجم الكثير منها إلى اللاتينية وظلت هاته الكتب المرجع الأوفى للكيمياء خلال ألف عام.

وبصفة عامة فقد كشف المسلمون أهم أسس علم الكيمياء وأسرارها وهم الذين إستخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية وصنع العقاقير فكانوا أول من نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدنية وتنقية المعادن وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي تقوم عليها الكثير من الصناعات الحديثة.

وأما في علم الفلك فقد عنت الحضارة الإسلامية بعد أن حفظت علم الأمم السابقة في هذا المجال بتصحيح ماكان فيه من أغلاط وذلك عن طريق تحويل هذا العلم من الحيز النظري إلى حيز التجارب العملية في الجاهلية من الدجل والشعوذة والذي واكب علم التنجيم في الأمم السابقة.

الخاتمة



وفي نهاية هذه الدراسة فإننا تمكنا من خلال هذا البحث أن نسلط الضوء على كل الجوانب المتعلقة بأسس الحضارة الإسلامية صورها ووسائل تطبيقاتها بالإضافة إلى ماهية الحضارة عند مالك وماهي أسسها حسبه ونحن وضعنا كل الجوانب النظرية والتحليلية لهاته الدراسة، حيث عرضنا كل المفاهيم والعلاقات بالجانب النظري وهذا الموضوع تطلب منا دراسة متعمقة يضاف إلى ذلك الجوانب الشخصية التي فرضت نفسها بالبحث وهي الرغبة في كشف أسس الحضارة التي يقوم عليها العالم الإسلامي والتي يتميز بها عند غيره من الأمم ومعرفة أسس الحضارة عند مالك بن نبي وكيف تكون النهضة وماهي تداعياتها النهوض بمجتمع واعي سليم يصبو للتطور والعمل الدائمين ولقد توصلنا في نهاية البحث إلى هذه النتائج وكان على رأسها أن:

الحضارة الإسلامية قامت بالأساس على الفقه الذي يتعامل مع الواقع ومن أجله أنزل الله عزوجل كتابه العظيم للعالمين وعلى ذلك الأساس قامت الحضارة الإسلامية العرب لهم الفضل في السبق والريادة فمن جزيرتهم إنطلقت الرسالة الإسلامية إلى جميع الأمم على اختلافها وتنوعها.

-أما في الفصل الثاني من الدراسة فقد تم التطرق للمفكر مالك بن نبي الذي يعتبر هو مدرسة من أكثر المدارس الفكرية التي كان لها الأثر الواضح في وضع ملامح الفكر الإسلامي الحديث

-يعتبر مالك بن نبي أن المشكلة الحضارية الإسلامية هي مشكلة أفكار بالدرجة الأولى لأن الأفكار الصحيحة هي التي تنتج حضارة صحيحة حسبه.

-الأخلاق حسب مالك بن نبي تعمل على تهذيب سلوك الفرد وتوجيهه إلى الطريق الصحيح سواء على الصعيد النفسي وكذا الإجتماعي وذلك عن طريق الضمير الذي يعكس سلوكه على الواقع.

-في الفصل الثالث فقد كان بمثابة تقييم وإبراز آثار الحضارة الإسلامية في الحضارات الإنسانية الأخرى.

-لقد كان أثر الحضارة الإسلامية في غيرها من الحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الأوروبية أثرا معتبرا لا يمكن التغافل عنه وكان هذا الأثر في كل المجالات تقريبا وأبرزها مجال الطب والفلك والهندسة والفن والعمارة

## قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- 1-القرآن الكريم  
أ/ المصادر
- 2-مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة / عمر مقاوي وآخرون، دار الوعي للنشر والتوزيع، الطبعة الحادية عشر، الجزائر، 2012 .
- مالك بن نبي، من أجل التغيير، دار الفكر ( دمشق ) ، الطبعة الأولى ، سوريا ، 1995.
- 3-مالك بن نبي، القضايا الكبرى ، دار الفكر ( دمشق ) ، الطبعة الأولى، سوريا ، 1991 .
- 4-مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر ( دمشق ) ، ترجمة / عبد الصبور شاهين، دار الفكر ( دمشق ) ، الطبعة الرابعة، سوريا ، 1987 .
- 5-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ( الجزء الأول شبكة العلاقات الإجتماعية) ، ترجمة / عبد الصبور شاهين، دار الفكر ( دمشق ) ، الطبعة الثانية، سوريا ، 1985 .
- 6-مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، سوريا، 1978.
- 7-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة / ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، سوريا، 1986.
- 8-مالك بن نبي، في مهب المعركة (إرهاصات الثورة)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الثالثة، سوريا، 1981.
- 9-مالك بن نبي، مذكرات شاهد على القرن، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الثانية، سوريا، 1984.

ب/ المراجع

- 10- عبد الرحمن بن خلدون، ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ب.ط، ب.م.ن، ب.س.  
1993.
- 11\_ على إبراهيم منوفي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبو ظبي 2011.
- 12- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، ب.ط، القاهرة، 2012.
- 13- إسماعيل راجي الفاروقي لوس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة/ عبد الرحمن لؤلؤة، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض، 1998.
- 14- باسيليو بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس (قرطبة ومساجدها)، ترجمة
- 15- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، مكتبة الخناجي بمصر، الطبعة الأولى، ب.م.ن، 1980.
- 16- سحر السيد عبد العزيز سالم، بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة الشباب الجامعة، ب.ط، الإسكندرية، 1997.
- 17- سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، (دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،
- 18- سمير عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، القاهرة، 1996.
- 19- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى، دمشق، 1994.

- 20- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم (دمشق)، الطبعة الأولى، سوريا، 1998.
- 21- عبد القادر طاش، أزمة الحضارة العربية، مكتبة المختار، ب.ط، ب.س. ب.م.ن.
- 22- لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام في الفكر الغربي دين ودولة وحضارة، مكتبة التراث الإسلامي، ب.ط، ب.س، ب.م.ن.
- 23- متولي البراجلي، دراسات في أصول الفقه (مصادر التشريع)، مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.
- 24- محمد ضيف الإبطانية، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية (الجزء الثاني الحياة الإقتصادية في صدر الإسلام)، دار الفرقان، ب.ط، م.ن، 1987.
- 25- محمد عبد الله دراز، مختصر دستور الأخلاق في القرآن (دراسة للأخلاق والنظرية والعلمية في القرآن الكريم مقارنة بالنظريات الأخلاقية القديمة والحديثة) ترجمة / محمد عبد العظيم علي، تقديم مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1996.

# فهرس الموضوعات

شكر و عرفان

أ..... مقدمة

3..... الفصل الأول: أسس الحضارة في العالم الإسلامي

3..... المبحث الأول: تعريف الحضارة، شروطها وكيفية الإتصال فيما بينها

8..... المبحث الثاني: مظاهر الحضارة، نشأتها وعوامل تكوينها

15..... المبحث الثالث: ماهية الحضارة الإسلامية، أسسها وصور من تطبيقاتها

53..... الفصل الثاني: أسس الحضارة عند مالك بن نبي

54..... المبحث الأول: حياة مالك بن نبي ومصنفاته

60..... المبحث الثاني: الخلفية التاريخية لفكر مالك بن نبي

64..... المبحث الثالث: أسس الحضارة عند مالك بن نبي

74..... الفصل الثالث: تقييم

75..... المبحث الأول: لمحات من أثر الحضارة الإسلامية في الحضارات الإنسانية الأخرى

80..... المبحث الثاني وسائل نشر الحضارة الإسلامية في أوروبا وآثارها

ج..... خاتمة

ه..... قائمة المصادر والمراجع

الملخص



## ملخص البحث

الكلمات المفتاحية: الأمة، الثقافة، الإصلاح، النهضة، الحضارة، الإسلام.

من أهداف الدراسة في هذا البحث أولاً معرفة تعريف الحضارة الإسلامية وماهي أسسها وكيفية تطبيقها.

ثانياً تعريف الحضارة في منظور المفكر الجزائري مالك بن نبي ومعرفة أسس الحضارة حسبه أما فيما يخص المنهج المتبع فقد كان مزيج بين المنهج التحليلي والمنهج التاريخي. وفيما يخص أهم التوصيات والنتائج الرئيسية:

إمتدت الحضارة الإسلامية على مدى أكثر من ألف عام كأكبر حضارة بشرية عرفها التاريخ كما أنها حضارة متنوعة بلا قيود هذا التنوع لم يقتصر على مدن فحسب بل من أقصى الشمال وكل الجهات بل كان أيضاً تنوع يمس البشر والأفراد

مالك بن نبي فيلسوف الحضارة العربية الأبرز في القرن الماضي يبدأ مالك بن نبي أفكاره بنقد مرحلة الجزائر إمتدت بين العامين (1925- 1936) كادت أن تحدث فيها حركة إصلاح التي قادها علماء الجزائر حالة من إعادة المجتمع السليم إهتم مالك بن نبي بمشكلات الحضارة والنهضة والثقافة والاستعمار ورصد معالم أزمة الحضارة الإسلامية بعد أن درس عنها خاصة أن عاصر وعاش فترة تحولات كبرى متسارعة أدت إثر الحربين العالميتين إلى تغير كبير في خريطة العالم سواء الجغرافية أو السياسية.

## Abstract

**Keywords:** nation, culture, reform, revival, civilization, Islam. One of the of the study in this research:

1-first: knowledge definition of Islamic civilization what are their foundations and how they are applied.

2-secondly: defining civilization in the perspective of Algerian intellectual "Malek Bin Nabi" and also knowing the foundations of civilization at "Malek Bin Nabi".

3-Also the approach, it was a combination of the approach Analytical and historical approach the main recommendation and findings are: Islamic civilization has been extended for more than a thousand years as a bigger one a human civilization that is Turkey has known, It is also a diversity on cities from the far north and all sides it was also diversity that affects people and individuals." Malek Bin Nabi" is the most prominent Arab civilization philosopher in the last century.

"Malek Bin Nabi" begins to build his ideas with criticism of a stage in history Algeria extended between (1925 and 1936). It was about to be the cause of a reform movement led by Algerian scientists a state of healthy society.

"Malek Bin Nabi" was very important to the problems of civilization, renaissance, culture colonization and monitoring the highlights of the crisis of Islamic civilization, After he studied about it, especially that he is contemporary and lived through a period of two world wars has changed dramatically in world map-whither geographical or political